دار المدينة المنورة

تقدم لك

الطريق إلى الله تعالى

للإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم

طبع بإذن من

السيد عز الدين ماضي أبو العزائم

المحامي بالنقض

اهداءات ٢٠٠٢
أ.د/فتح الله احمد مسيحه
الاسكندرية

دار المدينة المنورة

تقدم لك



للإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم سابقًا

طبع بإذن من
شيخ الطريقة العزمية

السيد عز الدين ماضي أبو العزائم

المحامى بالنقض



طبعات الكتاب

الطبعة الأولى : ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

الطبعة الثانية : ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح أم آل العزائم التى أدت الأمانة .

إلى روح أم آل العزائم التى وفت بعهد الله .

إلى روح أم آل العزائم التى أحسنت الكفالة .

إلى روح أم آل العزائم التى صبرت فى ذات الله .

إلى روح أم آل العزائم الراضية المرضية التقية النقية .

إلى روح أم آل العزائم التى جاهدت حتى أتاها اليقين .

إلى روح أم آل العزائم التى مضت على الإيمان طاهرة زكية .

نهدى كتاب : (الطريق إلى الله تعالى)

فرضى الله عنها ، وجعل الجنة منزلها ومأواها ، وسلام عليها وعلى روحها وبدنها الطاهر .

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله عماد من لاعماد له ، وذخر من لاذخر له ، وحرز من لاحرز له ، وعز من لاعز له ، وغياث من لاغياث له ، وسند من لاسند له ، وكنز من لاكنز له ، والصلاة والسلام على حامل لواء الحمد ، وإمام الرسل والأنبياء ، الشفيع المشفع ، يوم لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله – أعلام الهدى ، وأهل التقى ، سادات أهل الجنة أجمعين ، وشفعاء يوم الدين ، وأئمة أهل الأرض على اليقين – وعلى صحابته الهادين المهديين . ورضى الله تبارك وتعالى عن إمامنا الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم ، ونضر الله وجه

خليفته الأول الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبى العزائم ، آمين .

وبعد :

فتقدم دار المدينة المنورة وهى إحدى الهيئات التابعة لمشيخة السادة العزمية ، الطبعة الثانية من كتاب :

« **الطريق إلى الله تعالى** » للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم ، وهو يضم سلسلة المحاضرات التى كان يلقيها الإمام المجدد رضى الله عنه ، والتى قامت مجلة المدينة المنورة بنشرها .

وقد قامت دار المدينة المنورة ، بجمع هذه المحاضرات وتبويبها ، حتى بدت فى هذا الكتاب الذى بين يدى القارىء المسلم .

وهذا الكتاب حلقة جديدة ، تساهم - مع ماسبق من كتب الإمام رضوان الله عليه - فى بيان الطريق إلى الله تعالى ، وكشائف الجهالات التى عليه ، والآداب التى يجب أن يتحلى بها السالك .

إن أساس الطريق إلى الله هو محبة الله تعالى إعظاما وإجلالا ، ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وانقيادا ، وإيثار كل مسلم على نفسه بأن يحب له مايحبه لها ، ويؤثره عليها فى الخير ، لأننا جمعنا الله تعالى لنجدد ماخفى من معالم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم علما وعملا وحالا ، ولنحيي ماالندرس من أنوار كتاب الله تعالى علما وشهودا وتسليما ورضاء ، ونعيد الماضى بما كان عليه سلفنا الصالح نفعنا الله بهم ، ليكون الله تعالى معنا وعندنا . ونكون مع الله تعالى وعنده سبحانه .

إن من أعظم الواجبات على عاتق الهيئات الإسلامية

التى تدعو إلى الطريق إلى الله تعالى ؛ أن تخلص نياتها ، وتنزه أساليبها فى الدعاية إلى مبادئها ، عن كل مايورث الوهن والفشل ، ويؤدى إلى الفرقة فى صفوف المسلمين ، وأن تتقى الله فيما تقول ، ولاتكتم الحقائق ، ولاتنشر الأباطيل ، ولاتعتمد فيما تنشر من كتب - لشبابنا المسلم - على الزور والبهتان ، والافتراءات الظالمة التى تؤدى بشبابنا إلى الضلال ، وإثارة العصبيات البغيضة الممزقة لجسم الأمة الإسلامية ، والمفرقة للجماعة ، والدافعة للجهلاء على تنمية التباغض والصدام .

كما يجب على هذه الهيئات الإسلامية التى تدعو شبابنا إلى الطريق إلى الله تعالى ، أن تنتهج أسلوب الأنبياء عليهم السلام ، فى المناقشة والجدال ، والدعوة إلى الحق ، على ضوء ما أدبنا الله به فى كتابه العزيز حيث قال عز اسمه : ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1] وقوله سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2] فأحرى بها أن تتبع هذه الآداب عندما تدعو شبابنا إلى الطريق إلى الله تعالى ، لتحاول اجتذابهم إليه . وإن كان

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

(٢) سورة النحل آية ١٢٥ .

لابد من المناقشة فى المسائل الخلافية بين المسلمين : فيتعين عليها أن تبتعد عن الغلط فى القول ، وأن تنزه ألسنتها التى تزعم الدعوة إلى طريق الله عن أساليب الشتم والسب والفحش والافتراء ، فلاتجيز الحكم بضلال أحد ، أو فسقه ، فضلا عن شركه وكفره ، لمخالفته فى أمر اجتهادى ليس من ضروريات الدين ، ولايجوز معارضته وممانعته ، واتهامه أنه من أهل البدعة ، لإجباره على اتباع قول غيره مما يخالف اجتهاده .

فالداعى إلى الله يجب عليه أن يتحلى باللين واللطف ، المستند على العلم والمعرفة ، وحمل أقوال المسلمين وأفعالهم على المحامل الصحيحة ما أمكن ، والاجتناب عن المزاعم والظنون الباطلة ، ومتابعة الهوى ، والعصبية المقوتة . وصدق الله العظيم حيث يقول :﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾[1] .

يقول الإمام ابو العزائم رضى الله عنه فى نصائحه لإخوانه : (**إخوانى : اتقوا الله فى عباده ، وعليكم أنفسكم ، فاجلوا مرآة قلوبكم بعمل القلوب ، واشتغلوا بذنوبكم ، فإنكم محاسبون عليها لا على**

(١) سورة الإسراء آية ٣٦ .

ذنوب غيركم ، وارحموا عباد الله تعالى ، ذكّروهم بالحسنى ، عِظوهم بَاللين ، أعينوهم بفِضل أموالكم وجميل كلامكم ، وأحبوا لهم ماأحببتم لأنفسكم) .

إن دعوة الإمام أبى العزائم لَتستعيذ بالله من المنتحلين للعلم والإرشاد ، ممن لايحمل سلاحا للدفاع عن آرائِه إلا الشتم والافتراء والمغالطة ، وتسميم شبابنا المسلم بغير علم ، بل على خلاف العلم ، وكأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِـَٔايَاتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ** ﴾[1] .

كما تستعيذ دعوة الإمام أبى العزائم من كُتَّاب يُؤْثِرون خصائصهم الطائفية على الأُخوة الإسلامية ، فيؤيدون شذوذهم الفكرى بما يذهب بوحدة الأمة الإسلامية .

وإننا لنسأل هذه الهيئات الإسلامية : ماذا تقصد من كتاباتها المِملوءة حقدا على التصوف والصوفية وأولياء الله الصالحين ؟ غير تشويه جوهر الإسلام بتشويه التصوف فى أعين شبابنا ، ومعاداة أولياء الله الصالحين .

يقول الإمام أبو العزائم قُدِّسَ سِرُّه : (**الصوفية هم الذين صفت قلوبهم من شوائب الكون ، وتطهرت**

---

(١) سورة النحل آية ١٠٥ .

نفوسهم من رجس الشهوات ، وتعلقت هِمَمهم بالله تعالى ، ففنوا عن كل ما سواه ، ووجهوا وجوههم شطره ، لم تحجبهم الكائنات عن شهود مبدعها ، ولم تشغلهم الآيات الجلية عن فهم إشاراتها وذوق معانيها ، هم عبيد الله السائرون على منهج نبيه ﷺ ، وهم الذين تلقوا أسرار التوحيد وأنوار الحكمة ، بقلوب واعية ، ونفوس صافية ، عن العلماء العارفين بالله ، ورثة رسول الله ﷺ) .

فالتصوف هو الجهاد فى أعلى ذراه ، والعلم فى أصفى موارده ، والخُلق فى أعلى مثله ، والإيمان فى أسمى أنواره وإشراقاته ، أما أولياء الله الصالحون فقد تكفل المولى سبحانه بحمايتهم فى قوله تعالى : ﴿ **أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[1] وفى قول رسول الله ﷺ : « **مَنْ آذى لِى وليًّا فقد آذنتُهُ بالحربِ ...** »[2] .

أمَا كان أحرى بهؤلاء – عوضا عن بث هذه السموم – أن يكتبوا حول الإسلام ، وبيان عظمته ، وحقائقه السامية ، ومفاهيمة الراقية ، ليجذبوا إليه هذه الأجيال

(١) سورة يونس آية ٦٢ .

(٢) رواه أبوهريرة واللفظ : (من عادى) رواية البخارى .

التائهة ، خصوصا فى عصرنا المادى هذا ؟ أو أن يكتبوا الحقائق التى تقرب بين صفوف المسلمين ، وتؤلف بين مختلف المذاهب الإسلامية ، وبذلك يكونوا قد أدوا ماأوجبه الله عليهم من الدعوة إلى طريق الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

إن كتاب : « **الطريق إلى الله تعالى** » يرشدك إلى الصراط المستقيم ، الذى يتعين على شبابنا المسلم أن يسلكه ، ولا يتبع السبل التى تبعده عن هذا الصراط المستقيم .

ولأخلى بينك وبين الكتاب ، سائلا المولى سبحانه وتعالى أن يجمع شمل الأمة الإسلامية ، ويلم شعثها ، ويرتق فتقها ، وينصرها على القوم الكافرين .

مشيخة السادة العزمية

شيخ الطريقة العزمية
السّيد عِزّ الدّين ماضى أبوالعَزَائِم
المحامى بالنقض

فى يوم الخميس
٢٨ ربيع أول ١٤٠٥ هـ
٢٠ ديسمبر ١٩٨٤ م

الباب الأول
الطريق وآدابه
حكمة الخلق

الإخلاص فى العبادة :

هذا هو مبحث المباحث الذى تجب العناية به ، وهو المقصود بالذات من كل مواضيعنا هذه ، لأن الله جل جلاله ما خلق الخلق إلا لحكمة واحدة ، هى عبادته بإخلاص ، وقد يسر لهم كل ما يحتاجون إليه فى حياتهم الدنيا مع المزيد .

فأجرى لهم الأنهار ، وأنزل لهم الأمطار ، وخزن لهم الماء فى بطون الأرض ، وهو العنصر الوحيد لحفظ حياة كل حى من نبات وحيوان وإنسان ، فمنح الله الإنسان الماء أكثر مما يحتاج إليه . ولكثرته انصب فى البحار الملحة ، حتى يعلم الإنسان أن الله تعالى رزقه أكثر من كمالياته .

وخلق له الهواء وجعله معه حيث كان ، حتى فى قاع البحار ، وفى مغارات الجبال ، فغمر كل مكان خال بالهواء .

وخلق النور والحرارة كذلك . وجعل الأرض كلها كنوزا للإنسان يفتتحها بأقل عمل . وجعل له سبحانه فى كل حركة يتحركها بركة . إما عاجلة له فى الدنيا . وإما آجلة له فى يوم القيامة .

ومن ساح بفكره فى نفسه وفيما أحيط به . ينقلب إليه فكره خاسئا وهو حسير . عاجزا عن حصر ما شاهده من أنواع النعم التى لاتحصى ، والمنن التى لاتستقصى ، معترفا بما أنعم عليه الله من الفضل العظيم . وما أوصله إليه من الخير العميم ، ولكن قتل الإنسان ما أكفره . هذا ما يمكن للفكر أن يكاشف به من أنواع الخيرات ، وكيف بما هو فوق ذلك من خفى الألطاف ، وسريع الإسعاف ، وجلى العناية ، وعظيم الهداية ، وواسع الإحسان وخير الحنان ، فسبحان من لا يعلم قدره غيره ، ولا يبلغ الواصفون وصفه .

بادرة مايلوح لمن تفكر فى نفسه وفيما حوله :

كل تلك الخيرات المتوالية ، والبركات المفاضة بالفضل والإحسان ورضا الله عنا ، بعد أن تفضل بها علينا ، توجب أن نشكره عليها . فإذا وفقنا وشكرناه : وهب لنا مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر.. من الفيض الأقدس الذى يواجه به أرواحنا ، ومن الأنوار التى

يجعلها فى قلوبنا ، ومن العناية منه سبحانه بتوفيقنا لمحابه ومراضيه ، حتى نكون كأننا معه سبحانه ، ويكون جل جلاله معنا فى هذه الحياة الدنيا ، فتكون لنا العزة بالله تعالى .

ثم بعد أن يتفضل علينا بهذا الفضل العظيم ، ينسبه إلينا وهو الفاعل المختار ، ويتقبله منا كأننا أوجدناه وأحدثناه بقوة منا - ولاحول ولاقوة إلا بالله - فى كل شأن من الشئون . وهذا فضل على فضل . ثم يتفضل سبحانه بما هو أجل وأعظم ، فينعمنا بجوار قدسه بالملك الكبير ، ويؤنسنا على بساط منادمته ، وموائد كرامته ، حيث الحبور الذى لايصفه الواصفون ، والمسرات التى لاتفى بها عبارة ولا إشارة ، فسبحان ذى الفضل العظيم .

تفضل سبحانه فأوجد الإنسان ، ثم تفضل فوهبه الخير العظيم ، ثم تفضل فهداه الصراط المستقيم ، ثم تفضل فنسب إليه هذا العمل الصالح ، وهو الذى خلقه فيه ، وأعانه عليه ، ثم تفضل فجازاه خير الجزاء اللائق بذى الفضل العظيم ، فله الحمد ملء السموات والأرض ، وملء ماشاء من شىء بعد .

فهذه بادرة مايلوح لمن ساح بفكره فى نفسه وفيما

حوله ، فكيف بمن ساح فى ملكوت الله الأعلى ، مقتبسا طرائف العرفان ، وأنوار الإحسان ، من مشكاة الأنوار المحمدية ؟ !

إلى هنا يقف العقل ، وتخرس ألسنة العبارات ، وتسكن أعضاء الإشارات . قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] وقال سبحانه وتعالى لحبيبه ومصطفاه : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[2] .

التفكر فى سوابغ النعم :

إذا حصَّل المريد بخياله صور الكائنات ، وما بها من سوابغ النعمى ، وجزيل الآلاء ، وواسع الفضل العظيم ، وتجلت له آيات الله مشرقة فى نفسه وفى الآفاق ، وانتقشت تلك الصور على جوهر نفسه ، فتعقلها عقله ، وتدبرها قلبه ، فشعر القلب بأن تلك المواهب العلية ، والكنوز الكونية ، التى ملئت خيرا له وبركات ، لايحصيها عدا ، ولا يستقصيها حدا ، لم تخلق عبثا ، ولم تترك سدى ، وتحقق أن مبدعها القادر الحكيم ، وخالقها القوى العليم ، ماتفضل بها سبحانه إلا لحكمة أجلاها للبصائر ، وسر كاشف به

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٥ .

(٢) سورة طه آية ١١٤ .

الضمائر ، وآيات أجلاها للعقول ، ولاتخفى على إنسان كائن من كان ، ولكن الأهواء والحظوظ والتقليد هى التى جعلت الإنسان يجهل الطريق الموصل إلى الحكمة ، والسبيل المبين لها .

والحكمة عبادة الله تعالى ، والإخبات لعظمته جل جلاله ، والتحقق بأنه هو الله لا إله إلا هو ، وأن الإنسان عبد أكرمه الله بعظيم فضله ، شديد الاضطرار إلى مولاه ، دائم الافتقار إليه جل جلاله ، وأن مولاه سبحانه هو الغنى المغنى ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾(١)

العبادة دليل على محبة الله :

فإذا تجلت تلك الحقيقة ، سارع المؤمن إلى العبادة بأنواعها فى أوقاتها ، فيؤديها بآدابها ، فيحافظ عليها دائمًا ، فإذا وفقه الله تعالى للقيام بما أمره به وترك ما نهاه عنه ، تجلت له حكم تلك الأحكام ، وأسرار تلك الأعمال ، فعلم قدر نفسه ، ونسبته إلى الكائنات ، وظهر له جليا أن الكون ومافيه سخر له من الله سبحانه وتعالى ، فأحب الله

---

(١) سورة الذاريات ٥٦ – ٥٧ .

بكل قلبه لما تفضل به عليه ، حبا يجعله منجذبا إلى الله بالكلية ، قال ﷺ : « **أَحِـبُّوا اللهَ لما يَغذُوكم به من النِّـعم ، وأحبوني لحبِّ اللهِ ، وأحبوا آل بيتي لحبي** »[1] ثم يقوى حبه لله ، ويشتد شوقه إلى الله تعالى ، فتحصل له الرغبة في القيام بنوافل الخير بعد عمل الواجبات ، من ذكر وفكر ، وخشوع وإخبات ، وخوف ورجاء وخشية من الله ، ورهبة ورغبة . وكلما أشرقت له أنوار الحكمة فيما قام به من الأحكام بتوفيق الله وهدايته ؛ تجلت له أنوار الربوبية في نفسه وفي الآفاق ، فنما شوقه ، وزاد غرامه ، حتى تصغر في عينيه الدنيا ومافيها ، إلا ذكر الله وما والاه ، فينجذب لأهل التقوى والصلاح ، وصحبة العلماء الربانيين ، ويفر من كل مايشغله عمن هو موجه وجهه إليه ، ولو كان والدا أو ولدا أو مالا ، خوفا من حجبه عما يواجهه من جميل الآيات ، وماينبلج له من الأنوار في الكائنات ، حتى قد يبلغ به الأنس بمشاكليه والبهجة بنظرائه ، مبلغا يجعل الغريب البعيد المخالف له في لونه ولغته أحب إليه من أبنائه ووالديه ، وقد يبذل ماله ونفسه في رضائه ، أُنسه بجلوسه معه ،أُنسٌ بمن هو موجه وجهه إليه ، وَنَفَسٌ أنسٍ بمشاهدةٍ أحب إليه من الدنيا ومافيها .

---

(١) الترمذى فى المناقب والمستدرك فى فضائل أهل البيت .

الطريق

تعريف الطريق :

الطريق هو السبيل ، ومأخذه عند الرجال من قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّـمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1] وهو فى اصطلاح أهل السلوك إلى ملك الملوك : محو مابينك وبين الوصول إلى مقصودك . فالسالك إلى نيل قصده يترك وراءه آثارا كثيرة ، حتى يمحو كل بَيْنٍ يحجبه عن مقصده ، ولذلك فالسالك فى طريق الله تعالى ينسلخ من كل مايحجبه عن الحق جل جلاله ، حتى ينمحى البين من البين ، وتقع العين على العين ، إما مراقبة ، أو رعاية ، أو شهودا ، أو طمأنينة قلب فى مقام اليقين الحق ، بعد مراتب اليقين علما وعينا .

الطريق وما أدراك ما الطريق :

بغية السعداء المنشودة ، وطلبة من سبقت لهم الحسنى المقصودة ، تشتاق إلى علم الطريق وبيان معالمه النفوس

---

(١) سورة الأحقاف آية ٣٠ .

الزكية ، متسلية عن الجاه والمُلك ، رغبة فى تحصيل هذا العلم ، ومسارعة إلى طلب الدال على الله باليقين الحق .

كثائف الجهالات على الطريق :

ولما كانت معالم طريق الله تعالى ، والأنوار التى تبين سبل الله تعالى - مع وضوح دلالة الآثار المشهودة عليها - قد عميت عنها عيون الحس ، وجهلتها قوى النفس ، وتسلت عنها العقول بما اعتراها من الحجب ، بالمسارعة إلى نيل حظوظ النفس والجسم ، انكسفت أنوار العقول ، وخفيت معالم الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ، إلا بوازع قوى يجذب الأرواح بعالم ربانى ، يبين أسرار كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، أو بعصبة ذات شوكة وسلطان وغيرة لله ورسوله ، تقهر الأجسام التى حجبت الأرواح والعقول بمقتضياتها عن السير على الصراط المستقيم ، حتى تستريح العقول والنفوس ، فتنفذ بقوة هذا الوازع من كثائف الجهالات ، وتنهج على المنهج الحق .

ولديها تسلم لله رب العالمين ، فتحصل اليقظة للقلب بعد نومة الغفلة ورقدة الجهالة ، وتحصل التبصرة للإنسان بعد علم مبدئه ومعاده ، فيشتاق إلى السير إلى الله تعالى ، والسلوك على طريق أئمة الهدى المهتدين ، ويبحث عن

الوسائل التى تبلغه تلك المقاصد العلية ، فإذا تاقت نفسه بعد اليقظة والتبصرة ، كان من أهل طريق الله تعالى ، وتحقق بالإسلام الذى هو التسليم لله شرعا وقدرا ، ويسارع إلى تعلم العلم الذى لابد له منه ، وإلى صحبة أهل الخير والتقوى ، لأن الحس بريد النفس ، والمعاشرة مجانسة ، ومن أحب إنسانا غلب عليه طبعه ، قال ﷺ : **« المرءُ مع مَن أحَبّ »**[1] .

بم ساد أهل الطريق ؟ :

فأهل الطريق رضى الله عنهم لا يصغر فى أعينهم الفقير الذليل مادام على الحق ، ولو قرأت تراجم من سادوا فى عصورهم لرأيت أغلبهم من العبيد ، أو من الأذلاء والموالى ، أو من أهل المهن الدنيئة .

بم عزوا وبم سادوا ؟ بما أظهره الله تعالى على ألسنتهم من الحكمة ، وما وهبه لهم من الحب له وفيه سبحانه ، وبما وفقهم له من العمل بما علموا ، فصاروا عظماء ـ حتى فى قلوب العصاة والفسقة ـ لما أظهره الله عليهم من أنوار محبته ، فترى الفاسق الفاجر الجبار العنيد ، إذا رآهم يخشع قلبه ، ويتذلل أمامهم ، ويسألهم الدعاء له ، وهم فى شظف

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٤٠٥ .

العيش ، ورداءة الثياب ، وخشونة الظاهر . ولاترى أحدا يعاديهم إلا عليم اللسان جهول القلب ، أو معاندا للحق خبا لئيما ، لا يؤمن بيوم الحساب .

كفاهم شرفا أن الله تعالى ألقى عليهم محبة منه سبحانه ، فأحبهم الأميون والعامة والصبيان والنساء ، وهى سنة الله فى أوليائه الذين ورثهم أسرار أنبيائه ، ولعلك قرأت قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَرىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾[1] ولعلك قرأت حديث البخارى فى باب الهجرة عندما أخرج كفار قريش سيدنا أبا بكر رضى الله عنه ، وجاء ابن الدغنة ليمنعهم من إخراجه ، فقالوا : إنا نخشى على نسائنا ، لأنهن يجتمعن عليه ، ويبكين ببكائه ، ويجتمع عليه الصبيان والبسطاء ويبكون معه عندما يرتل القرآن باكيا . ذلك لسلامة قلوب العامة ، وصفائها من درن الحظوظ والأهواء وحب الدنيا .

منازلات المريدين :

ولا يزال المريد يقوى حاله وينمو ، حتى يرى أنفاسه أنفس من النفائس ، ووقته أعز عليه من نفسه ، فيبخل أن ينفق نفسا واحدا فى غير منازلة من منازلاته ، وللمريد

---

(١) سورة هود آية ٢٧ .

منازلات فى مشاهدات التوحيد ومشاهد العبادات ، أبين لك مايمكن أن يسطر على الأوراق فيما بعد بمشيئة الله تعالى ، فإن للمريد منازلات فى التوحيد يشهدها علما ، ومنازلات فى التوحيد يشهدها عملا فى صلاته وصيامه وزكاته وحجه .

تفاوت هِمم المريدين :

وفى هذا المقام تتفاوت هِمم المريدين ، وتختلف إرادتهم بقدر الفيض الأقدس ، والتنزلات الإلّهية ، والمواجهات الربانية ، وتزكية نفوسهم ، وفراغ قلوبهم . فمنهم من يقوم بالعبادات على الوجه الأكمل ، ثم يحاسب نفسه بعدها فيتحقق التقصير ، فينيب إلى الله ويبكى .

ومنهم من يقوم بالعبادات على الوجه الأكمل ، ثم يحاسب نفسه بميزان مشاهد التوحيد ، فتنجلى له الحقيقة ، ويرى نفسه أنه أشرك بنسبة عمله لنفسه ، فيتوب ويبكى من الشرك الذى ألم بنفسه فى عمله .

ومنهم من يقوم بالعبادات على الوجه الأكمل ، ثم يحاسب نفسه ، مشاهدا المنة عليه بالتوفيق والهداية والعناية والمعونة ، فيشتد شوقه إلى المنان الحنان ، ويستغرق فى الشهود ، فلايفيق إلا وقد دخل واجب الوقت الآخر ، فيسارع إلى عمله ، وتتجلى له تلك الحقيقة ، فيحصل له

الاستغراق ، وهو حال عن مقام التلوين فى وجد ينتج وجودا وحالا قاهرين عن شهود ، وقليل ماهم .

ومنهم من مكنه القوىُّ المتين ، وثبَّت قلبَه على دينه القادر الحكيم ، فجمع له سبحانه وتعالى بين شهود عمله الواجب عليه ، ومراقبة المنان الهادى الموفق عند كل عمل ، وهذا هو الذى مَنَّ الله عليه سبحانه بالوجود معه ، وهو سبحانه معه سر قوله ﷺ : « **كُن معَ اللهِ تَرَ اللهَ معك** » وهذا لايحاسب نفسه ، لأنه واقف بين يدى ربه ، فانٍ عن نفسه بمولاه ، مستغرق بشهود المنة عليه من الله ، وهؤلاء أقل من القليل ، وهم الصديقون من أصحاب رسول الله ﷺ ، والشهداء من ورثة رسول الله ، وتلاميذ الوارث الفرد لرسول الله ﷺ .

أحوال تلك المشاهد :

هذا مايمكن أن أشير إليه بالقول والكتابة ، ولكل مشهد من تلك المشاهد أحوال تعلو أهلَهَا ، ومواجيد تقهر من تفضل الله عليهم بها ، وفيها يحصل الملام ، قال الله تعالى : ﴿ **يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾[1] وقال الله تعالى : ﴿ **هُمْ**

---

(١) سورة المجادلة آية ١١ .

دَرَجَاتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[1] وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾[2] وقال ﷺ : يقول الله تعالى : ﴿ من آذى لى وليا آذنتُهُ بالحربِ ، وماتقربَ إلىَّ عبدى بشىءٍ أحبَّ إلىَّ من أداءِ ما افترضتُه عليه ، ولايزال عبدى يتقربُ إلىَّ بالنوافلِ حتى أُحبَّه ، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَهُ الذى يسمع به ، وبصرَهُ الذى يبصر به ﴾[3] .

ومن جهل مايتفضل الله به على العمال المخلصين ، من المواجهة التى تغنيهم عما سواه ، كان لومه معينا للسالك على ماهو فيه ، فإن الجاهل بحقيقة أمر إذا رأى آخر علم ربح التجارة ، فترك الأهل والوطن وسافر ، يلوم عليه ويعنفه ، ويقيم عليه الحجة ، لأن هذا عناء وعدم ثقة بالله ، وتغرير بالنفس ، وضياع للعمر . فلايقبل الآخر قوله ، ولايصغى لحديثه ، ويعتقد أن هذا المتكلم جاهل بقدر الخيرات ، جبان ، سافل الهمة ، ولايرضى أن يضيع أنفاسه ببيان سبل الخيرات له ، لاعتقاده أنه لاينتفع بها ، لعلمه بما فطرت عليه نفسه من عدم المسارعة إلى الخيرات .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٢ .

(٢) سورة الصافات آية ١٦٤..

(٣) رواه أبو هريرة .

والسالك فى سبيل الله كلما انبلجت له أنوار مشاهدة وجهه الجميل ؛ صغرت فى عينه الدنيا ، وتلذذ بالآلام فى سياحته ، وابتهج بما يتألم به أهل البطالة ، وكيف يصبر من واجهه الحق بوجهه الجميل وناداه من مكان قريب ؟ أنا ربُّك ووليُّك ، إلىَّ ففر ، وعلىَّ فتوكل ، أنا حسبك ، من طينة صوَّرتك ، ومن ماء مهين صنعتك ، ولأجلك خلقت العرش ومايحيط به ، وأعددتُ لك فى دار كرامتى مالا عين رأت ، ولاأذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر ، فسارِع ياعبدى إلى مجاورة حظائر قدسى ، ومواجهتى فى مقعد صدق ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾(١) .

---

(١) سورة النساء آية ٦٩

آداب الطريق

عم يتخلى القلب وبم يتحلى ؟ :

إن أساس السلوك فى طريق الله تجريد القلب ، ونحن هنا سنبين لك مم يتجرد القلب ، وبم يتحلى ؟ وماهى الصفات التى يجب أن يتجمل بها طالب الله تعالى ؟ ولكى يسهل على القارىء فهم مانرمى إليه ؛ قسمنا الكلام فى هذا الموضوع إلى قسمين :

أولا : التزام أحكام الشرع :

هو مراقبة الله تعالى فى سائر الأحوال ، ولا يكون ذلك إلا بتأدية الفرائض ، وترك المحرمات ، وامتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، والقيام بالنوافل ، وتجنب الشُّبه ، مع اعتقاد التقصير والعجز عن أداء مايليق بجناب الله عزوجل ، فلقد قال ﷺ : « **سبحانك لا أُحصِى ثناءً عليك ، أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ** »[1] . وعليه أن يخلص عمله من الشوائب ، وأن يجرد نيته عند القيام بالعمل ، فيجعلها خالصة لله تعالى ، وأن يسلم أموره جميعها لله ، ويرضى بقضائه ، موقنا أنه لايكون إلا مايريد

---

(١) من دعاء الرسول ﷺ من كتاب الكلم الطيب .

سبحانه ، وكل ماأراده فهو خير . وبالجملة ، فزمام هذا الطريق الشرع ، فمن التزم أحكامه ، وتتبع حكمته ، وجد فى الأخذ بهذه المبادىء سهولة ولذة ، واستطاع أن يسير فى الطريقِ بقدم ثابت ، ومن أهمل العمل بأحكام الشرع وعدل عن منهجه ؛ فقد استهوته الشياطين ، فضل وأضل ، وكان مصيره إلى جهنم وبئس القرار .

ثانيا : استئصال المعاصى القلبية :

المعاصى القلبية إذا لم يستأصلها السائر فى طريق الله من قلبه ؛ كانت سببا فى إحباط عمله .

فمن تلك الخبائث : الحسد ، والرياء ، والعُجْب ، والكبر ، وفقد الرحمة بعباد الله ، إلى غير ذلك من الصفات الذمية ، التى تشوه عمل المرء وتجعله حقيقا بسخط الله ونقمته .

١ - **الحسد** مثلا من أقبح الصفات ، وهو كما قال عليه الصلاة والسلام : « **الحسد يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ** »[(١)] ويتشعب من البخل ، إذ البخيل هو الذى يبخل بما فى يده على غيره . والحاسد لنعمة الله على الغير -

---

(١) رواه أبو داود فى سننه عن أبى هريرة .

وذلك فى خزائن قدرة الله تعالى لا فى خزائنه هو - شحه أعظم وعمله أقبح . وفى الحقيقة أن سوء أدب الحاسد ، إنما هو على الله تعالى ، لأن النعمة نعمته سبحانه ، فالاعتراض عليه . ولا يزال الحاسد فى عذاب دائم مادام يرى النعمة على محسوده ، ويزيده الله عذابا بحرمانه من كل ماتطلع إليه ، وتمنى لغيره زواله ، ولعذاب الآخرة أشد وأكبر ، ولله در القائل :

ألا قُـل لمن كان لى حـاسـداً
أتـدرى عَلَى مَن أسـأتَ الأدب ؟
أسـأتَ على اللهِ فى فعلِـهِ
لأنـك لم ترضَ لى مـاوهَب

٢ - **الرياء :** هو الشرك الخفى ، وحقيقته طلب المنزلة فى قلوب الخلق لينال بذلك الجاه . ولاشك أن حب الجاه ، من الهوى المتبع ، وكم أهلك أناسا ، فقد ورد أن الشهيد يؤمر به يوم القيامة إلى النار ، فيقول : يارب استشهدتُ فى سبيلك ، فيقول : (**أردت أن يقال شجاع**) .

٣ ـ **العُجْب :** هو الداء العضال ، وحقيقته أن ينظر العبد إلى نفسه بعين العز والاستعظام ، وإلى غيره بعين

الاحتقار ، وثمرته الترفع فى المجالس ، وقول : أنا ، كما قال إبليس اللعين : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[1] .

دلالة المعاصى القلبية من الحديث :

وخير حجة نستشهد بها على ما أوردناه لك ، ذلك الحديث الصحيح الوارد عن النبى ﷺ ، رواه ابن المبارك بإسناده عن خالد بن معدان أنه قال لمعاذ بن جبل : حدّثنى حديثا سمعتَه من رسول الله ﷺ ، قال : فكبّر معاذ وبكى حتى ظننت أنه لن يسكت ، ثم قال : واشوقاه إلى رسول الله ﷺ وإلى لقائه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول لى : **(يامعاذ إنى محدثُك بحديثٍ إن أنت حفِظتَه نفعَكَ ، وإن أنت أضعتَه ولم تحفَظْه انقطَعَتْ حجتُك عند الله يوم القيامة ، يامعاذ ، إن الله خلقَ سبعةَ أملاكٍ قبلَ أن يخلُقَ السمواتِ والأرضَ ، فجعلَ لكلٍّ من السبعةِ مَلَكاً بوّابا عليها ، فتصعدُ الحفظةُ بعملِ العبدِ من حينِ يصبحُ إلى حينِ يُمسِى ، له نورٌ كنورِ الشمسِ ، حتى إذا بلغت به إلى السماءِ الدنيا ، زكّته وكبرته ، فيقول الملك للحفظة : اضربوا بهذا العمل وجهَ صاحبِهِ ، أنا صاحب الغيبة ، أمرنى ربى ألا**

(١) سورة الأعراف آية ١٢

أدعَ عَملَ مَنْ يغتابُ الناسَ يُجاوزُنى إلى غيرى .
قال : ثم تأتى الحفظةُ بعملٍ صالحٍ من أعمال العبد تزكيه وتكثره ، حتى إذا بلغت به السماءَ الثانيةَ ، قال المَلَكُ الموكل بها : قِفُوا واضرِبُوا بهذا العملِ وجهَ صاحبِهِ ، إنه أراد بعملِه هذا عَرَضَ الدنيا ، أمرنى ربى ألا أدَعَ عملَه يجاوِزُنى لغيرى ، إنه كان يفتخرُ على الناسِ فى مجالِسِهم . قال : وتصعدُ الحفظةُ بعملِ العبدِ يبتهج نورا من صدقةٍ وصيامٍ وصلاةٍ قد أَعْجَبَ الحفظةَ ، فإذا انتَهَوْا به إلى السماء الثالثة ، قال لهم المَلَكُ الموكل بها : قِفوا واضربوا بهذا العمل وجهَ صاحبِهِ ، أنا ملَكُ الكِبرِ ، أمرنى ربى أن لا أدعَ عملَهُ يُجَاوِزُنى إلى غيرى ، إنه كان يتكبر على الناسِ فى مجالسِهم . قال : وتصعد الحفظةُ بعملِ العبدِ يزهو كما يزهو الكوكبُ الدريُّ ، وله دوى من تسبيحٍ وصلاةٍ وصومٍ وحَجٍّ وعمرةٍ ، حتى يجاوزوا به السماءَ الرابعةَ ، فيقول لهم المَلَكُ الموكلُ بها : قفوا واضربوا بهذا العملِ وجهَ صاحبِهِ وظهرَهُ وبطنَهُ ، أنا صاحبُ العُجْب ، أمرنى ربى ألا أدعَ عملَهُ يُجَاوزُنى إلى غيرى ، إنه كان إذا عمل عملا أدخل العُجْبَ فيه . قال : وتصعد الحفظةُ بعملِ العبدِ تَزُفُّه كما تُزَفُّ العروسُ إلى أهلِهَا ، حتى إذا

انتَهَوْا به إلى السماءِ الخامسةِ ، قال لهم المَلَكُ الموكلُ بها : ارجِعُوا واضربُوا بهذا العملِ وجهَ صاحبِه ، واحمِلُوه على عاتقِه ، أنا ملكُ الحسدِ ، أمرنى ربى ألا أدعَ عملَهُ يُجاوِزُنى إلى غيرى ، إنه كان يحسدُ من يتعلمُ ويعملُ بعلمِه ويقعُ فيهم . قال : وتصعد الحفظةُ بعملِ العبدِ من صلاةٍ وزكاةٍ وحجٍّ وعمرةٍ وجهادٍ وصيامٍ ، حتى إذا انتهَوْا به إلى السماءِ السادسةِ ، يقول لهم الملكُ الموكلُ بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجهَ صاحبِه ، أنا صاحبُ الرحمةِ ، أمرنى ربى ألا أدعَ عملَهُ يجاوِزُنى إلى غيرى ، إنه كان لا يرحمُ إنساناً قط من عبادِ الله أصابه بلاءٌ أو ضرٌّ ، بل كان يشمتُ به . قال : وتصعدُ الحفظةُ بعملِ العبدِ إلى السماءِ السابعةِ من صلاةٍ وصيامٍ ونفقةٍ وجهادٍ ووَرَعٍ ، له دويٌّ كدويِّ النحلِ ، وضوءٌ كضوءِ الشمسِ ، معه ثلاثةُ آلافِ مَلَكٍ ، حتى إذا انتَهَوْا إليها قال لهم الملكُ الموكلُ بها : قفوا واضربوا بهذا العملِ وجهَ صاحبِه وجوارحَهُ ، واقفلوا على قلبه ، إنى أحجبُ عن ربى كلَّ عملٍ لم يُرَدْ به وجهُ اللهِ تعالى ، إنه إنما أرادَ بعملِه غيرَ الله . إنه أراد رفعةً عند العلماءِ ، وذكراً عند الفقهاء ، وصيتاً بين الناسِ ، أمرنى ربى ألا أدعَ

عملَه يجاوزني إلى غيري ، لأنه سبحانه لايقبلُ عملَ المُرائى . قال : وتصعد الحفظةُ بعملِ العبدِ من طاعةٍ وعبادةٍ وخُلُقٍ حسنٍ ، وصمتٍ وذكرِ للهِ ، ويشيعُه ملائكةُ السمواتِ السبعِ ، حتى يقطعَ الحجبَ كلَّها إلى اللهِ تعالى . فيقفونَ بين يديه ، فيشهدون له بالعملِ الصالحِ المخلصِ لله تعالى ، فيقول سبحانه : ياملائكتى ، أنتم الحفظةُ على عملِ عبدى ، وأنا الرقيبُ على ما فى قلبه ، ولا أخلصه لى ، أنا المطلعُ على ما فى القلوب ، لاتخفى علىَّ خافيةٌ ، ولاتغربُ عنى غاربةٌ ، علمى بما كان كعلمى بما لم يكن ، وعلمى بالأولين كعلمى بالآخِرينَ ، فكيف يغرُّنى عبدِى بعملِهِ ؟ إنما يغرُّ المخلوقين الذين لايعلمون ، أما أنا فعلامُ الغيوب ، إنه لم يُرِدْنى بعملِه ، ولا أخلَصَهُ لى ، فعليه لعنتى ، فتقول الملائكةُ جميعُها : ياربَّنا ، عليه لعنتُكَ ولعنةُ السمواتِ السبعِ ومن فيهن . ثم بكى معاذ وقال : يارسولَ اللهِ ، كيف النجاةُ مما ذَكَرْتَ ؟ قال : اقتدِ بنبيِّـــكِ فى اليقين . قلتُ : أنت رسولُ اللهِ وأنا معاذٌ ، فكيف لى فى النجاةِ والخلاصِ ؟ قال : نعم يامعاذ ، إن كان فى عملِك تقصيرٌ فاقطع لسانَك من الوقيعة فى إخوانِك من حملةِ القرآنِ خاصةً ، واحمِل

ذنوبَك ولاتحمِلْها عليهم ، وليردَّكَ عن الوقيعةِ فى الناسِ ماتعلَمَهُ من عيوبِ نفسِك ، ولاتُزَكِّ نفسَك بذمِّـهم ، ولاتُرائى بعملِكَ كى تُعْرَفَ فى الناسِ ، ولاتدخل فى الدنيا دخولاً يُنسِيكَ أمرَ الآخرةِ ، ولاتُناجِ رجلاً وعندك آخرٌ ، ولاتتعظم على الناسِ فتُقطعُ عنك خيراتُ الدنيا والآخرةِ ، ولاتفحشْ فى مجلسِك كى تُحَذِّرَ الناسَ من سوءِ خُلُقِكَ ، ولاتمزِّق الناسَ بلسانِك ، فتمزقُك كلابُ النارِ فى النارِ ، ثم قرأ : ﴿ وَٱلنَّاشِطَاتِ نَشْطاً ﴾[1] وقال : أتدرى ما هن يامعاذُ ؟ قلت : بأبى أنت وأمى يارسول اللهِ ما هن ؟ قال : كلابٌ فى النارِ ينشطن اللحمَ عن العظمِ . قلت : يارسول الله من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها ؟ قال : فإن الذى وصفتُ لك ليسيرٌ لمن يَسَّرَهُ اللهُ عليه ، إنما يكفيكَ من ذلك أن تُحِبَّ للناسِ ماتحبُّ لنفسِك ، وتكرهَ للناسِ ماتكرهُ لها ، فإذن أنتَ قد سَلِمْتَ ونَجوتَ »[2] .

قال خالد بن معدان : فما كان معاذ يكثر من تلاوة القرآن ، إكثاره من تلاوة هذا الحديث .

---

(١) سورة النازعات آية ٢ .

(٢) البداية والنهاية للإمام الغزالى .

الجوارح المقابلة لأبواب الجنة والنار :

قال أحد الأئمة : ﴿ إنما حُرموا الوصولَ لتضييعهم الأصول ﴾ ونعم ، فإن الطريق إلى الله بدايته العلم ، ووسطه العمل ، وآخره معرفة الله تعالى ، بعد معرفة النفس . والعلم فى البداية ، هو العلم بأركان الإسلام ، وأحكام المعاملات ، ومن تعلم هذا العلم وعمل به ، علمه الله مالم يكن يعلم ، قال ﷺ « **مَن عمِلَ بما عَلِمَ ورثهُ اللهُ علمَ مالم يعلم** »[1] . وبالعمل بما علم يسلم المسلمون من يد السالك ولسانه ، فيكون مسلما كما قال ﷺ : « **المسلمُ من سَلِمَ المسلمُونَ من لسانِه ويدِه** »[2] وفى رواية أخرى : « **من سلم الناس من لسانِه ويدِه** » ومتى سلم الناس من لسانه ويده ؛ سلموا من باب أولى من جميع الجوارح ، فإن كل المعاصى فى الحقيقة سببها اللسان ، لافرق بين معاصى الفرج والبطن وبين معاصى غيرهما ، فكأنه ﷺ يقول : من سلم المسلمون من جميع جوارحه ، وتلك الجوارح فى الحقيقة هى مفاتيح أبواب الجنة وأبواب النار . وبعيشك ، هل يرضى مسلم يؤمن بالله وباليوم الآخر ، أن يفتح على نفسة بابا من أبواب النار ويقفل أبواب الجنة ؟ مع أن الله

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس .

(٢) أبو داود فى الأدب والنسائى والبخارى والترمذى وابن حبان .

سبحانه مكنه وخيَّره بين فتح باب الجنة وفتح باب النار ، قال تعالى : ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[1] وشتان بين من يفتح أبواب النار فى مجلس واحد ، وبين من يفتح أبواب الجنة فى نَفَس واحد .

١ - فتح أبواب الجنة :

مثال ذلك : رجل مشى برجليه لزيارة عالم حتى وصل إليه ، ففتح باب **الرجلين** . وجلس معه فسمع الحكمة فوعاها ، ففتح باب **الأذنين** . ونظر إلى الفقراء معه فشكر الله تعالى على ماأنعم به عليه من اليسار والعافية ، ففتح باب **العينين** . ثم ذكر الله تعالى مع الذاكرين معه ، ففتح باب **اللسان** . ثم مد يده بصدقة لفقير أو لغيره ، ففتح باب **اليدين** . ثم تحمل الجوع مع العالم - لأن أكثرهم فقراء - ففتح باب **البطن** . ثم تذكر ذنوبه لحلاوة الحكمة فتاب إلى الله ، ففتح باب الجنة المعد **للفرج** . وهو باب الخيام المضروبة على المقصورات من الحور ، ثم سمع علم التوحيد وعين التوحيد وحق التوحيد . فانفتح له باب **القلب** فى الجنة ، وهو مقعد الصدق للصادقين والصديقين ، كل ذلك فى نفَسٍ أو أكثر .

---

(١) سورة الكهف آية ٢٩ .

٢ - فتح أبواب النار :

مثـال ذلـك : خرج رجل ليزور حاكما لغرض دنيوى ، يريد به أذية الغير ، أو يريد به الجاه ليعظم بين الناس ، أو يريد به رفعة درجة ، أو وظيفة ، أو إكبات عدو ، ففتح باب النار ، المعد **للرجلين** . فلما جلس بين يديه اضطر أن يصدقه فيما يقول ، أو يعينه على كشف عورة من عورات أهل الإيمان ، ففتح باب **الأذنين** . ثم تكلم بما لايرضى الله ورسوله ففتح باب **اللسان** . ثم قدم له تحفة من طعام أو شراب ففتح باب **البطن** . لأنه أكل بمعصية الله مالا يستحق . ثم نظر إلى الزينة والأثاثات فأنكر نعمة الله عليه وأصغرها ، ففتح باب النار **للعينين** . حتى يفتح أبواب النار كلها . ثم يراه عظيما نافعا ضارا فيسلب الإيمان من القلوب فى مجلس واحد ، أعاذنا الله من ذلك .

ومثـال آخر : وهو أن يخرج لزيارة أهل الدنيا من إخوان السوء ، فيجلس معهم للغيبة والنميمة ، وسب المؤمنات الغافلات ، وقد يتجاوز ذلك إلى سب العلماء العاملين ، الصالحين المصلحين ، وقد يتجاوز ذلك إلى سب ولاة الأمور المخلصين أهل العدل ، وقد يتجاوز ذلك إلى أكل وشرب ماهو حرام ، قال تعالى : ﴿ **فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ** ﴾[1] وقال ﷺ : « **المرءُ على دينِ خليلِهِ فلينظُر أحدُكم مَنْ يُخَالِلْ** »[2] .

---

(١) سورة الأنعام آية ٦٨ . (٢) أخرجه أبو داود والحاكم والترمذى من حديث أبى هريرة .

الباب الثانى

مراحل الطريق

مايجب أن يحصله المسافر فى طريق الله

أولا : الاستعداد قبل السير :

لما كان كل مسافر إلى مقصد عظيم وجب عليه أن يستعد لهذا السفر ، استعدادا يطمئن به قلبه على نفسه ، فيصحب الرفقة التى يأنس بها ، ويدفع بها عن نفسه مالا قبل له به ، والزاد الذى يبلغه مقصده حتى يرجع لأهله ، والسلاح الذى يستعمله عند لقاء اللصوص أو الوحوش ، والمال الذى يدخره للضرورة ، والراحلة التى تحمله ، والأثاثات التى لابد له منها من البيوت التى تكنه ، واللباس الذى يقيه الحر والبرد .

وأهم مايلزم المسافر ؛ الخبير ؛ الذى يسلك به على الطريق الموصل ، العالم بالطريق علما عن تجربة وكثرة مروره به . هذا مايلزم المسافر فى أموره الدنيوية .

أما المسافر إلى حضرة الملكوت الأعلى ، فله لوازم ضرورية لابد منها ، وهى من الأهمية بمكان ، حتى يمكنه أن يبلغ مقصده الملكوتى ، فإذا هم أن يسافر فارا إلى الله تعالى من كون الملكوت ، كثرت لوازمه وازدادت حاجاته . كل تلك المعدات يجب أن تكون موفرة للمسافر قبل سفره بزمن طويل ، فلاينبغى له أن يسافر إلا بعد كمالها ، فمن أخطأ فى إعداد العدة خاطر بنفسه ، فلا أرضا قطع ولاظهرا أبقى .

ثانيا : أن يحصل فقه الشريعة عقيدة وعبادة :

١ - علم التوحيد :

ويُحصَّل بالتلقى عن أهل الخشية من الله تعالى ، وهو الركن الذى تجب المسارعة إليه قبل كل شيء ، ولا ينبغى للسالك فى طريق الله أن يلتفت إلى شيء قبله ، إلا مالا يتحصل على هذا العلم إلا به من الضرورى ، كالغذاء والنوم وقضاء حاجة الإنسان ، والسعى فى تحصيل ذلك .

ولاأعنى به أن يتلقاه الإنسان بالطريقة التى يلقنها أدعياء العلم بالأقيسة المنطقية التى أخذوها عن اليونان ، فإن ذلك - والعياذ بالله - من البدع المضلة ، ولم يكن فى عصر رسول الله ﷺ ، ولا فى عصر الصحابة رضوان الله عليهم ، ولاالتابعين وتابعيهم بإحسان .. وإنما تتلقى العقيدة بطريقة السنة كما بين ذلك رسول الله ﷺ ، وبالمآخذ القرآنية ، فإن الله تعالى بينها فى كتابه العزيز بطريقة البرهان ، الذى لايفهمه إلا من تزكت نفسه ، وصفا خياله ، واطمأن قلبه للحق ، بما جعله الله فيه من النور والهدى .

٢ - علم العبادات :

يجب على السالك بعد ذلك أن يتلقى العبادات عملا عن أهل الخشية بصحبتهم ، حتى يكون صورة لأصحاب رسول الله ﷺ ، عاملا بما كانوا عليه . فإن أهل الخشية تلقوها عملا ممن تلقاها عمن تلقاها إلى رسول الله ﷺ ، قال ﷺ : **« أتانِي جبريلُ فصلَّى فصليتُ ، ثم صلى فصليت - وكررها خمسا - فصلوا كما رأيتمونى أصلى »** يشير ﷺ إلى أن علم الصلاة يجب أن يكون عمليا لابالدراسة ، وإنما

هى القلوب ، متى خشعت من علام الغيوب ، قامت مواجهة لجنابه العلى ، وحسن وقوفها بين يديه سبحانه .

ثم يتعلم الصيام والحج والزكاة عملا أكثر من تعلمها علما ، فإنَّ تلقى أنواع العبادات بالعمل ينقش على القلب صورة نورانية ، تجعل الجسد هينا لينا للقيام بها . وتلقيها بالعلم يجعلها كالمعانى التى يتعقلها الإنسان ولا يشعر بالمقصود منها . ولذلك فإنك ترى دعاة العلم الذين يعلمون الناس أركان الإسلام ؛ يتهاونون بالقيام بها ، فقد يجلس الرجل يتحدث مع الآخر فيفوته الفرض والفرضان ، وقد يقف فى الصلاة وقلبه مشغول بغير مَن هو مواجهه سبحانه ، ويخرج من الصلاة مسرعا إلى عمل ربما كان يدبره فى الصلاة ، وهو لا يشعر أين كان ؟ أصلى ثلاثا أم أربعا ؟ .

ثالثا : أن يحصل من القرآن مايكفيه :

بعد تحصيل ذلك يجب أن يحصل من القرآن مايكفيه ، لصلاته ، ولتلاوته وتدبره ، وللتلذذ بسماع كلام ربه من نفسه ، حتى لا يمضى عليه يوم إلا وقد تكلم مع الله سبحانه بكلامه المقدس ، والواجب على المريد أن يفهم ما حفظه من القرآن ، فإن حفظ شيئا من القرآن بغير فهم ، وجب

عليه أن يسارع إلى خدمة من يفهم منه ماحفظ من القرآن ، حتى لا يكون كالببغاء يقرأ كلام الله بغير فهم ، وحسب المسلم جهالة أن يقرأ شيئا من كلام الله غير فاهم معناه ، وهل إنسان يحب آخر ويجهل كلامه ؟ هذه دعوى باطلة ..

وماحجبت أنوار الطريق وأسراره عن عيون البصائر ، وحرم المريد أنوار المواجهات عند القيام بالقربات ، إلا من التهاون بفهم كلام الله ، ولم تكن خوارق العادات للسلف ، والهمم التى تنفذ فى عظائم الشئون ، وقوة سلطان المسلمين واتحاد كلمتهم ، واجتماع قلوبهم ، ومسارعة كل مسلم لخير المجتمع الإسلامى ، إلا بفهم كلام الله تعالى . ومن انتسب إلى الطريق ولم يفهم ماحفظه من كتاب الله فهو فى طريق هواه وحظه . وإلا فما الذى يدعو المريد أن يجعل نفسه كالميت بين يدى المرشد ، يتصرف فى نفسه ودينه وماله ، إلا ليجعله فى معية رسول الله عليه الصلاة والسلام ، إنسانا كاملا عاملا من عمال الله .

وإنما أهل الطريق من صغر فى نظرهم كل شىء ، فى سبيل تحصيل كلام الله ، وعلم أحوال رسول الله ﷺ .

رابعا : أن يجاهد نفسه فى ذات الله :

إن النَّفَس عند السالك أغلى من نَفْسه ، فلايصرفه إلا فى تكميلها ، الكمال الذى به يكون فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقاً ﴾[1] وليس الفيض القدسى ، والنور الروحانى ، والعلم الربانى ، بمحظور عليه بزمان أو بمكان ، وإنما هو لمن يبذل نفسه وماله فى نيله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾[2] .

وإن المقاتلة العظمى فى سبيل الله هى مقاتلة الشخص نفسه لتكميلها ، قال ﷺ : « **رجعنا مِنَ الجهادِ الأصغرِ إلى الجهادِ الأكبرِ جهادِ النفسِ** »[3] فالإقدام بالملحمة بين صفوف الأعداء أمام نار المقذوفات جهاد أصغر ، ومجاهدة المريد نفسه فى ذات الله جهاد أكبر . ولاجهاد فى الحقيقة إلا

---

(١) سورة النساء آية ٦٩ .

(٢) سورة التوبة آية ١١٢ .

(٣) رواه البخارى .

بفهم كلام الله تعالى ، وعلم غوامضة والعمل به . وإن العامل بكتاب الله السالك على منهج رسول الله ﷺ فى جهاد أكبر ممن ألقى بنفسه بين نيران المقذوفات ، لأن الذى ألقى بنفسه بين نيران المقذوفات ، شهد بعينه الجنة فتحت له فسارع إلى الجنة ، لا إلى نار وطعن . وإن من شهد الجنة فتحت له ، لا يشعر بما أصابه فى سبيلها .

بالعمل بالقرآن ملكنا الأرض شرقا وغربا ، وسُدنا على العباد سرا وجهرا ، واستجاب الله لنا ، وسخر لنا ملائكة سماواته ، وبإهمال فهم القرآن أصبح من أهملوه عالة على أهل الكفر بالله ، وأتباعا وأذلاء لهم ، فإذا كان فهم القرآن عزا وملكا ومجدا فى الدنيا ، فكيف يكون فى الآخرة ؟ ﴿ **إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ** ﴾[1] فالقرآن يجب أن نحبه دينا ، ونحبه لأنه صدر عن الله ، وأنه صفة من صفاته ، وفيه تجلى لنا الله ، وظهرت لنا معانى صفاته ، وكاشفنا فيه بمحابه ومراضيه ، وبيَّن لنا مايكرهه ويغضب لعمله ، ونحب القرآن لأنه الشمس المشرقة للأرواح الملكية ، وللنفوس

---

(١) سورة الرعد آية ١٩

الزكية ، وللقلوب المطمئنة بذكر الله . اللهم إنى أشهدك أنى – ولك الحمد ولك المنة – أحب كلامك العزيز ، وأحب أن تقام حدوده ، وأن يكون العمل به ، فتفضل ياذا الفضل العظيم ، وأعطنى محابى فيك سبحانك ، وحصنى بالقرآن من مخالفته ، إنك ولى المؤمنين .

الحث على اتباع سنة خير المرسلين

اتباع السنة واجب لصحة الإسلام :

قدمت لك أن الطريق إلى الله تعالى هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما كان يعمل سلفنا الصالح عضا بالنواجذ على سنة رسول الله ﷺ . وهنا أبين لك من الكتاب والحديث مابه تعلم حق العلم ، أن العمل بكتاب الله والسنة المطهرة ينال بها المسلم محبة الله تعالى له ، والتى هى بغية أولى العزم من الرسل .

إعلم ياأخى – وفقنى الله وإياك لما فيه اتباع سنة رسول الله ﷺ – أن أبلغ آية دعانا الله فيها إلى اتباع السنة ، هى قوله تعالى : ﴿ وَمَا ءَاتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ

وَمَانَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[1] ثم قوله سبحانه : ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾[2] من هاتين الآيتين وغيرهما يتضح لك أن اتباع رسول الله ﷺ فرض واجب لصحة الإسلام .

وكل من يخالف السنة فقد عرض نعمة الإسلام للزوال . قال ﷺ : « **لا يؤمنُ أحدُكم حتى يكونَ هواهُ تبعا لما جئتُ به** »[3] وقال ﷺ : « **من ضيعَ سنتى حرمت عليه شفاعتى ، ومن أحيا سنتى فقد أحيانى ، ومن أحيانى فقد أحبنى ومن أحبَّنى ، كان مَعِى يوم القيامةِ فى الجنةِ** » وجاء فى الآثار المشهورة أن المتمسك بسنته ﷺ عند فساد الخلق واختلاف المذاهب والملل ، كان له أجر مائة شهيد ، وأنه كالقابض على الجمر ، أى : لا يسعه تركه ولا إمساكه .

ما المراد بالسنة ؟ :

المراد بالسنة مانقله إلينا أتباع رسول الله ﷺ

(١) سورة الحشر آية ٧ .

(٢) سورة النساء آية ٦٥ .

(٣) رواه البخارى .

وأصحابه ، من أقواله وأعماله وأحواله وإقراراته ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون وأصحابه الذين عاصروه من بعده ، ثم الذين يلونهم من التابعين ومن بعدهم ، وكل ماأحدث بعد هؤلاء مما يخالف منهاجهم فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، يجب علينا محاربتها قدر استطاعتنا ، فإن الصحابة رضوان الله عليهم هم القدوة المثلى لنا بعد رسول الله ﷺ ، وقد كانوا ينكرون أشد الإنكار على من أحدث أمرا أو ابتدع رسما لم يعهدوه فى عصر النبوة ، سواء كان فى صغير أو كبير ، فى المعاملة أو فى العبادة والذكر .

ومن الأدب ترك البحث والتفتيش فيما جاءت به السنة إذا صح سنده واستقام متنه ، فإنه يجر إلى الطعن فى الدين الذى هو مفتاح الضلال . وما هلكت الأمم الماضية إلا بطول الجدال وكثرة القيل والقال ، وإنما يجب على المسلم أن يعض بنواجذه على ماثبت من السنة ، ويعمل به ، ويدعو إليه ، ويحكم به ، ولا يصغى إلى كلام أهل البدعة ولا يميل إليه .

فرائض الإيمان وشعبه

فرائض الإيمان :

وهنا يجب أن نبين لك ملة الإسلام الصحيحة التى وردت عن رسول الله ﷺ فى حديث جبريل عليه السلام ،

لأنها أساس الطريق المتين وحصنه الحصين ، وهى : أن يؤمن العبد ويصدق بالله تعالى وحده لاشريك له ، ويؤمن بملائكته وكتبه ورسله أجمعين ، وبالبعث بعد الموت ، وبالقدر خيره وشره من الله ، ثم يرى الإقرار الصحيح بذلك كله فرضا لازما ، فيقر به ، ويقيم الصلوات الخمس لأوقاتها ، على شرائطها وحقوقها ، ويؤدى الزكاة فى المال لوقتها وبشرائطها ، ويصوم رمضان ، ويحج البيت إن استطاع إليه سبيلا .

ويرى أن من انطوى قلبه على هذه الفرائض جميعها ، ودل بها لسانه ، وعمله ، واطمأن إليها قلبه ؛ فهو مؤمن من أهل الجنة ، بفضل الله تعالى وكرمه .

شعب الإيمان :

ويرى أن المؤمن لايخرجه عن إيمانه ذنب ، كما يخرج بالكفر والشرك والنفاق ، ويكل سريرته إلى الله تعالى يوم القيامة ، إن شاء عاقبه بما شاء إلى مايشاء ، وإن شاء عفا عنه بدليل قوله ﷺ : « **أنه يخرجُ من النارِ مَنْ كانَ فى قلبه مثقالَ ذرةٍ من إيمانٍ** » ، أى : أدنى شىء من يقين الدين . وأن لايكفر أحدا بذنب ، ولايخرجه من الإسلام بعمل .

وأن يكف لسانه عن أهل القبلة ، ولا يشهد على أحد منهم بالكفر والشرك والنفاق ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى .

ومن سنة الإسلام أن يعلم بأن القلم قد جرى بما هو كائن من أمر الدين والدنيا ، رطبها ويابسها كما قال تعالى : ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[1] وأن السعادة والشقاوة مكتوبتان ، وكل ميسر لما خلق له ، فلاتقديم لما أخره الله ، ولاتأخير لما قدمه ، ولاتعطيل لما أحكمه ، ولانقض لما أبرمه ، وكل ذلك بقدر الله .

وأن يصلى العيد والجمعة خلف كل بر وفاجر من ولاة الإسلام ، ويصلى على من مات من أهل القبلة كائنا من كان .

ويجاهد مع كل خليفة أعداء الله ، ولايخرج على إمام المسلمين بالسيف ، ولاعلى أحد من أهل الإسلام ، بل يدعو لهم بالصلاح والخير والمعافاة والاستقامة والرشاد والسداد ، ويدعو لإمام المسلمين ، ويطيعه فيما يأمر به مما أباحه الدين ، وإن كان عبدا حبشيا .

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٩ .

ولا يطعن فى سلف العلماء بما زلت به أقدامهم ، ولا يتخذهم غرضا .

ويتورع جهده عن مطاعن الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد كانوا فى أعلى مراتب التقوى والبر واليقين والزهد والهدى ، وقد وعدهم الله المغفرة فى سقطاتهم بصحبة سيد البشر عليه الصلاة والسلام ، فمن الواجب على كل مسلم ألا يبسط لسانه فيهم إلا بأحسن مايقدر عليه ، فإن أحدا لو أنفق ملء الأرض ذهبا ، لم يبلغ بعض ماكانوا عليه رضى الله عنهم ، ومن كمال حب المسلم لرسول الله ﷺ حب أصحابه من أجله .

ولايخاصم ولايجادل أحدا فى الدين ، فإن ذلك يحبط الأعمال .

ولايمارى أحدا فى شبهات القرآن فإنه يقرع بذلك باب الضلال ، فإن ألجأه أمر إلى المحاجة فليكن سائلا متمسكا بآداب السؤال .

ويؤمن بعذاب القبر ويتعوذ بالله تعالى .

ولايتكلم فى الدين برأيه ، بل يتبع السنة فى كل مايقول ويعمل ويقرر .

ولايتبع القياس فى جميع مسائل الدين وأحكامه ، فإن أول من أخذ بالقياس إبليس اللعين .

ولا يناظر فى صفات الله ولا فى ذاته أحدا ، فإنه سبحانه تعالى منزه عن القياس والأشباه والأوهام والخطرات ، ففى الحديث : أن هلاك هذه الأمة إذا تكلموا فى ربهم ، وأن ذلك من أشراط الساعة .

ويجب أن يترك التكلم فى القدر والمجادلة فيه ، فإن ذلك من إشراك الأمم السابقة ، وليبحث له عن عالم ربانى يكشف له مايشتبه عليه من هذه الأمور . والله ولى التوفيق .

البحث عن المرشد الدال على الله :

ولما كان العلم لابد أن يكون بالتعلم ، وكان السالك فى الطريق لابد له من المعلم ، والمعلم محل الإجلال والتعظيم ، وهو الذى يجب له السمع والطاعة ، لأن السالك يسلمه نفسه فيزكيها له ، ويتلقى عنه أحكام دينه ليقلده فى عقيدته وأعماله وأحواله ، فأول واجب على السالك فى طريق الله تعالى ، أن يبذل غاية الهمة فى البحث عن هذا العالم ، ليفوز برضوان الله الأكبر ، ويعمل لخير نفسه وخير المسلمين جميعا . ومن أهمل فى هذا الموضوع الجليل فلم يبحث عن

عالم ليتعلم ، أو لم يدقق فى البحث عنه ، وسلم نفسه لمدع أو مبتدع ، فقد أخطأ نيل الوسيلة ، ومن أخطأ نيل الوسيلة حرم المقصد ، وسيان عندى من أهمل فى تحصيل العلم ، ومن صحب رجلا بغير بصيرة وبحث عن حقيقته ، ليتبين له أنه مرشد حقا ، وهنا أبين لك أوصاف المرشد ، حتى تكون على بصيرة من أمرك ، والله ولى التوفيق .

أوصاف المرشد :

المرشد هو الحى القائم الدال على الله ، العالم بالنفوس وأمراضها من نزوغ الشهوات والأهواء ، وميول إلى مايلائم النفس ، العالم بالحقائق التى خلق الله منها الإنسان ، فإن الله جل جلاله خلق الإنسان متطورا فى بطن أمه ، من نطفة ، إلى علقة ، إلى مضغة ، إلى عظام ، ثم كسى العظام لحما ، ثم أنشأه خلقا آخر ، بعد أن افتتح خلقه من سلالة من طين ، ثم جعل سبحانه وتعالى فوقه سبع طرائق .

وهذا العالم بالنفوس هو العالم بالله ، وبأيام الله ، وبأحكام الله ، وطلبه فريضة ، لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، والعلم بالتعلم ، والتعلم بالعالِم ، ومتى سعد السالك فى طريق الله بهذا العالِم ، أكمل الله له دينه ، وأتم عليه نعمته ، ورضى له الإسلام دينا . والمعلوم أن العالَم أجمع لايجهل الله الحق الذى خلق السموات والأرض ومابينهما

واستوى على العرش ، وإنما المجهول علم مايحبه ويرضاه ، من العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات ، والقيام بما يحبه ويرضاه منَ العقيدة والعلم وشهود أنواره وأسراره وآياته فى مكوناته ، مع كمال التنزيه والتسليم لله تعالى ، من غير منازعة بالعقول ، ولامخالفة بالنفوس ، حتى يصلوا إلى مقام من أثنى الله عليهم بقوله : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1] .

أخذ العهد على المريدين

البيعة فى الكتاب والسنة :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾[2] .وقال تعالى : ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[4] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٢ .

(٢) سورة المؤمنون آية ٨ .

(٣) سورة البقرة آية ١٧٧ .

(٤) سورة الإسراء آية ٣٤ .

﴿ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[2] وقال ﷺ : « **بايعونى على أن لاتشركوا بالله شيئا** » الحديث . فالعهد أولا أخذه الله تعالى على رسله الكرام ، بأن يكونوا أمة لحبيبه ومصطفاه إن أدرك زمانه أحدهم . وأخذت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم العهد لله على أممهم ، وقام العلماء الربانيون بأخذ عهد الله تعالى بالنيابة عن رسول الله ﷺ على أهل عصرهم فى كل زمان ، بأن يبينوا لهم ماأوجبه الله تعالى عليهم ، ومارغبهم فيه ، وماكان عليه رسول الله ﷺ وأئمة الهدى ، ثم يأخذون عليهم العهد أن يأتمروا بما أمرهم به الله والرسول ، وينتهوا عما نهى الله ورسوله عنه .

الجنة وفاء من الله بعهده للمؤمنين :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾[3] وكما أن الله أخذ عليهم العهد أن يقوموا بالعمل بوصاياه سبحانه ، فقد ضمن لهم - فضلا منه وكرما - أن يدخلهم الجنة ، وبشرهم بأن

---

(١) سورة الفتح آية ١٠ .

(٢) سورة الفتح آية ١٨ .

(٣) سورة التوبة آية ١١١ .

يفى لهم بعهده سبحانه ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾[1] وفى تلك الآية سر غامض تلوح أنواره لمن انتشل من أوحال التوحيد ، إلى فضاء التنزيه والتفريد ، بعد التزكية والتجريد ، وأشرقت أنوار الحضرة العلية ، حضرة الرب العلى الكبير ، على حضرة العبد الذى واجهه الرب جل جلاله ، فأشهده معانى ربوبيته ، فتحقق بالتمكين بالقيام بحقوق العبودية ، فكان الرب جل جلاله مع العبد ، والعبد المضطر مع الرب ، معية جعلت العبد متحدا مع ربه جل جلاله فيما يريد ، بمحو العبد فى مراد الرب ، وهمّ العبد فى استجلاب رضاء الرب جل جلاله .

وبذلك تقوى الرهبة والرغبة من عظمة العظيم ، وفى الفضل العظيم من الله تعالى ، ويشتد الخوف من مقام الرب جل جلاله ، والطمع فى عفوه ومغفرته ، فتكون معانى الربوبية معالم بين عينى العبد ، فلا يرى شيئا إلا ويرى أنوار الربوبية قبله وفيه وبعده ، وبذلك يكون ربانيا ، يفقه عن الله ، ويتلقى بسره عن رسول الله ، ويكون له وجود عينى بالله تعالى ، ثابت بإثبات الله له ، ظاهر بإظهار الله له ، عامل فى محاب الله ومراضيه بتوفيق الله وهدايته ، فيكون له من الله الفضل العظيم ، وعليه الواجب

(١) سورة البقرة آية ٤٠ .

المقدس ، الذى هو معرفة حكمة إيجاده له سبحانه وتعالى ، وسر إمداده منه سبحانه وتعالى ولذلك فإنه سبحانه بعد أن قال : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ قال : ﴿ وَإِيَّاىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[1] لأن هذا الخطاب المقدس ربما أشهد السالك فى مقام فرقه بعد الجمع ، مشهدا يجعل رغبته ورجاءه ، وطمعه وأنسه ، وشهوده سوابغ النعماء وجميل الآلاء ، وتسخير كل شىء هو فى الملك والملكوت ، يقوى فيستر عنه مشاهد المنة ، وبوارق العظمة ، والعزة والكبرياء ، فربما يأنس بمشهد دون مشهد ، فأشار سبحانه بقوله : ﴿ وَإِيَّاىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ أى : أن مقام العبودة أرقى من مقامات العبادة والعبودية .

وإنما الأحوال نتائج الشهود ، والشهود نتائج المقامات ، فمن غلب عليه مقامه قهر حاله . ومقام الرهبة أعلى المقامات ، لأنه عن علم آيات عظيم كبير متعال ، علىٍّ قادر منان . وكم من سالك وقف عند مشاهد الرغبة والرجاء والطمع ، ولم يتجاوزها إلى مقامات التمكين وحق اليقين ، فتاه شاطحا ، فيتداركه الرب جل جلاله بنعمة منه ، والله أرحم بالسالكين من أنفسهم بأنفسهم ، ورسوله ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم .

---

(١) سورة البقرة آية ٤٠ .

وفى تلك الآية الشريفة من غوامض الأسرار ، مما تكاشف به النفوس الطاهرة ، قبس من مشكاة الأنوار ، تواجه به السرائر من أنوار الكوكب الدرى ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

كيفية أخذ العهد :

لما كان العلماء الربانيون ورثة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وكان لابد من تجديد عرى الإيمان ، لأن الإيمان يخرَق كما يخرَق الثوب ، وتخفى معالمه ، ولكن الله سبحانه وتعالى يجدده على ألسنة العارفين به .

ولما كان المرشد خليفة رسول الله ﷺ ، فى بيان شعب الإيمان وتفصيل ماأجمل من السنن ، وتوضيح ماأبهم منها ، وبيان سبل الله ، كان عليه بعد أن يعلم تلاميذه مايجب عليهم ، أن يعاهدهم بالنيابة عن رسول الله ﷺ ، ويواثقهم له صلوات الله وسلامه عليه ، مبينا لهم أن يده التى يضعها على أيديهم هى يد رسول الله ﷺ ، حتى يكون صورة كاملة لرسول الله ﷺ .

فاصطلح أهل الطريق رضى الله عنهم أن يبتدئوا مع المريد بتعليم العلم الواجب على المريد فى الوقت ، من علوم المعرفة والأخلاق والعبادات والمعاملات ، وآداب رسول الله

ﷺ ، ثم يواثقونه بعد ذلك على أن يعمل بما علم بقدر استطاعته ، وينتهى عما نهى عنه الله جملة واحدة إلا ماأكره عليه كما يبينونه له ، فيبايعونه البيعة الكاملة على أن لايشرك بالله شيئا ، وأن يقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويصوم رمضان ، ويحج البيت إن استطاع إليه سبيلا ، وأن يجتنب الكبائر والفواحش ماظهر منها ومابطن ، وأن يجاهد نفسه وهواه فى ذات الله ، ويبينون له : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾[1] . هذا سر العهد عندهم ، ولاينبغى أن يعاهد المريد إلا عارفا ربانيا ، يصح أن يكون صورة كاملة لرسول الله ﷺ بحسب زمانه ، لابحسب المعانى المحمدية الكاملة .

---

(١) سورة التوبة آية ١١١ .

الباب الثالث

أصول الطريق

العقيدة

العقيدة هى أصل الأصول :

هى أصل الأصول التى عليها مدار العبادات والأخلاق والمعاملات ، وبها نيل الرضوان الأكبر يوم لاينفع مال ولابنون ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] ومتى انعقد القلب على العقيدة الحقة التى مأخذها الكتاب والسنة ، وبيان الأئمة ، أشرقت أنوارها على الجوارح ، فسارعت إلى محاب الله ومراضيه ، وإنما تكون الاستقامة بقدر العقيدة الحقة ، تجعل المتجمل بها حاضرا مع الله لايغيب ، عاملا له سبحانه بالإخلاص لايخالفه ، مراقبا له جلاله فى خلوته ومجتمعه ، محاسبا نفسه على كل صغيرة وكبيرة ، يرى الجحيم حضورا أو استحضارا ، وبعيشك .. من رأى الجحيم بعين اليقين ، كيف يخالف القوى القهار المتين ؟ ! .

---

(١) سورة النساء ١١٦ .

العقيدة فى أقوال أئمة الطريق :

وإليك ماقاله أئمة الطريق فيما جملهم الله تعالى به من حسن العقيدة :

قال الإمام أبو القاسم القشيرى فى رسالته فى علم التوحيد : إعلم أن شيوخ الطريق بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة فى التوحيد ، صانوا بها عقائدهم عن البدع ، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة ، من توحيد ليس فيه تمثيل ولاتعطيل ، وعرفوا ما هو حق القدم ، وتحققوا بما هو نعت الوجود عن العدم .

وقال أبوبكر الشبلى رضى الله عنه : الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف .

وسئل رويم عن أول فرض افترضه الله عز وجل على خلقه ما هو ؟ فقال : المعرفة ، لقوله جل جلاله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] قال ابن عباس : إلا ليعرفون .

وقال أبو الحسن البوشنجى : التوحيد أن تعلم أنه غير مشبه للذوات ، ولامنفى للصفات .

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ .

وسئل ذو النون المصرى : ماهو التوحيد ؟ فقال : هو أن تعلم قدرة الله تعالى فى الأشياء بلامزاج ، وصنعه للأشياء بلاعلاج ، وحكمة كل شيء صنعه ولاعلة لصنعه ، وليس فى السموات العلا ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير الله ، وكل ماتصور فى ذهنك فالله بخلافه .

وقال الجنيد : التوحيد علمك وإقرارك بأن الله فرد فى أزليته ، لاثانى معه ، ولاشيء يفعل فعله .

وقال أبو عبد الله : الإيمان تصديق القلوب لما علمه الحق من الغيوب .

وقال أبو العباس السيارى : عطاؤه على نوعين : كرامة واستدراج ، فما أبقاه عليك فهو كرامة ، وماأزاله عنك فهو استدراج ، فقل : أنا مؤمن إن شاء الله تعالى .

وقال سهل بن عبد الله التسترى : ينظر المؤمنون إليه تعالى بالأبصار ، من غير إحاطة ولا إدراك نهاية .

وقال أبو الحسن النورى : يشاهد الحق القلوب ، فلم ير قلبا أشوق إليه من قلب محمد ﷺ ، فأكرم بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة .

وقال أبو عثمان المغربى يوما لخادمه محمد : لو قال لك

أحد : أين معبودك ، فماذا تقول ؟ قال : أقول : لم يزل ، قال : فإن قال : أين كان فى الأزل ، فماذا تقول ؟ ، قال : أقول : حيث هو الآن . يعنى أنه كما كان ولامكان ، فهو الآن كما كان ، قال : فسره منه ذلك ، ونزع قميصه وأعطاه إياه .

وسئل أبو عثمان المغربى عن الخلق فقال : قوالب وأشباح ، تجرى عليهم أحكام القدرة .

وقال الواسطى : لما كانت الأرواح والأجساد قامتا بالله وظهرتا بالله ، لابذواتها ، كذلك قامت الخطرات والحركات بالله ، لابذواتها ، إذ الحركات والخطرات فروع الأجساد والأرواح .

وقال أبو سعيد الخزاز : ومن ظن أنه ببذل الجهد يصل إلى مطلوبه فَمُتَعَنٍّ ، ومن ظن أنه بغير الجهد يصل فَمُتَمَنٍّ .

وجاء رجل إلى ذى النون المصرى يقول : ادع الله لى ، فقال له : إن كنت قد أيدت فى علم الغيب بصدق التوحيد فكم من دعوة مجابة سبقت لك ، وإلا فإن النداء لا ينقذ الغرقى .

وسئل ابن شاهين الجنيدى عن معنى « مع » فقال : لما

معنيان ، مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾[1] ومع العامة بالعلم والإحاطة ، قال تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[2] .

وسئل ذو النون المصرى عن قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَى ﴾[3] قال : أثبت ذاته ونفى مكانه ، فهو موجود بذاته ، والأشياء موجودة بحكمه كما شاء سبحانه .

وقال الإمام جعفر الصادق : من زعم أن الله فى شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك ، إذ لو كان فى شىء لكان محصورا ، أو كان من شىء لكان محدثا ، أو لو كان على شىء لكان محمولا .

وقال الجنيد : التوكل عمل القلب ، والتوحيد قول القلب .

المنكرون لأقوال أئمة الطريق :

هذه عبارات من سبقت لهم العناية ، وإنما يذوق حلاوة معناها أهلها ، ممن سبقت لهم من الله الحسنى :

---

(١) سورة طه آية ٤٦ .

(٢) سورة المجادلة آية ٧ .

(٣) سورة طه آية ٥ .

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[1] وإن كان معنى الآية يشير إلى ماكان يحصل لرسول الله من الحزن - عند إنكار قريش وتكذيبه - رحمة بهم. ولكن نذكرها هنا لإقامة الحجة، على أن تلك العبارات يزداد بها أهل الإيمان الكامل يقينا، وينكرها من سجل عليهم القضاء البعد والقطيعة، نعوذ بالله، وهم لا يخفون علينا بعد أن بين الله لنا أوصافهم، وحذرنا منهم، وهم الآن كثير لضعف أهل الحق، وسيأتى وقت - وهو قريب - يظهر الله أهل الحق، ويعيد لنا ما كان لسلفنا من القوة والتمكين فى الأرض، ولديها أهل النفاق - الذين يجاهرون اليوم بالاعتداء على الدين - يسارعون إلى التمسك خوفا من قوة الحق ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾[2].

وماتقول فى عقيدة من يدعى الإسلام وهو يعتدى على أخيار الله، محتجا بكلام من لاحجة لهم ممن قال الله فيهم ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[3] وقال سبحانه: ﴿ مَآ

(١) سورة هود آية ١٢٠.

(٢) سورة يوسف آية ٥٢.

(٣) سورة الفرقان آية ٤٤.

أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[1] .

ماتقول فى عقيدة من يقول : أنا أبحث بحثا علميا والدين والعلم مختلفان . وهو يجهل حقيقة العلم لأنه يجهل روح الدين . الإسلام لايعادى العلم ، لأن الإسلام وضع الحكيم العليم ، الذى بين الحقائق كما هى ، وكل مايخالفه فهو جهل وضلال ، وإن كان عند أهل النفوس اللقسة علما .

العلم هو تصور النفس رسوم المعلوم ، ومتى تصورت النفس رسوم المعلوم ، صار المعلوم معالم بين عينى العالم ، لانبلاج أنوار الغيب المصون وإشراقه على جوهر النفس ، فبين لغيره بالعبارة معانى المعلوم ، ليتمثلها خيال السامع لابقدر المعلوم ، فإن كان السامع ممن منحهم الله نفسا نورانية ، تقبَّل العلم الحق واطمأن قلبه . وإن كانت نفسه خبيثة ، أنكر ومال إلى مجالسة أهل الكفر والضلال ، فإن استدرجه الله تعالى بقوة أهل الباطل ، وضعف أهل الحق ، جاهر بالضلال ، وإن أظهر الله أهل الحق أظهر أنه من أتباعهم ، وأخفى فى نفسه ما الله مبديه ، وهو النفاق .

---

(١) سورة الكهف آية ٥١ .

أسأل الله أن يحفظنا من النفاق ، وأن يؤيدنا بروح حتى يكون المجاهر منافقا ، ثم يظهر الله ما فى نفسه فيعذبه الله فى الدنيا بأيدينا ، وفى الآخرة بنار جهنم ، أو يتوب عليه ويهديه منه ، والله ولى المتقين .

العقيدة هى الحجة :

بينت لك الأصل الأول الذى هو العقيدة ، وهو أصل الأصول ، بل هو رأس مال المؤمن ، ومازاد عليه فهو ربحه ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾[1] والعقيدة الحقة مأخوذة من الكتاب والسنة وبيان الأئمة ، وقد أوردت ماقاله أئمة الطريق رضى الله عنهم فى العقيدة ، وفيه الكفاية لمن جعل الله لهم نورا فى قلوبهم . ومن طلب تحصيل العقيدة بالبراهين المنطقية والأدلة العقلية ، حرم الإيمان الحق ، لأن الله تعالى علىٌّ عظيم ، لاتدركه الأبصار الباحثة . وقد أخبرنا سبحانه وتعالى عن نفسه فى آيات من القرآن كثيرة ، وأقام الحجة البالغة بما بينه سبحانه فى خلق السموات والأرض ومابينهما ومافيهما ، مما شاهدته العقول ، واطمأنت به القلوب . على أن كل شىء خلقه الله للإنسان مما أحاط به من أفلاك وأملاك ، وأجواء وأرجاء ، ومعادن

---

(١) سورة النساء آية ١١٦ .

ونباتات وحيوانات ، وهذه هى الحجة التى أسجدت القلوب لعلام الغيوب ، وبقيت المحجة وهىالأصل الثانى الذى هو العبادة التى تربط العبد بربه ، قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيعاً وَلَاتَفَرَّقُوا ﴾[1] وتتمثل فى الطريقة المستقيمة .

الطريقة المستقيمة

الطريقة هى المحجة :

هى أقرب طريقة توصل إلى المطلوب ، وكل الطرق الأخرى منحرفة أو معوجة أو منقطعة لاتوصل السالك عليها ، وتلك الطريقة المستقيمة محصورة فى قول رسول الله ﷺ وعمله وإقرارته ، وقد بينها أئمة الهدى بالقول والعمل والحال .

وطالِب الله تعالى يجب عليه أن يبحث عن مرشد يصحبه ، هو أشبه الناس برسول الله ﷺ ، وبعد أن يظفر به يجب عليه أن يسلم له فيا علم أنه لايخالف كتابا ولاسنة ، فإن الحرام بيِّن والحلال بيِّن ، ومن حجب ممن يتعدى حدود

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

الله ويخالف أحكامه ، ووصايا رسول الله ﷺ ، فارق السنة ، ومال عن الطريقة المستقيمة ، ولاحجة له .

قال الله تعالى : ﴿ **وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾[1] .

والواجب علينا أن نتمسك بالسنة ، تمسكا يمنحنا ربنا الفوز به ، والوصول إليه ، ونيل ماوعدنا سبحانه عنده ، قال سبحانه : ﴿ **أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا** ﴾[2] .

بم تصلح الطريقة ؟ :

أولا : تلقى عقيدة التوحيد :

تلقى عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة والسماع من المرشدين الكاملين ، لامن أهل الجدل والمعارضة والإنكار ، الآخذين بأصول اليونان ـ التى هى الأشكال المنطقية ونتائجها ـ وما لم يكن عليه السلف الصالح ، بل يترك الجدل مرة واحدة ، قال تعالى : ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** ﴾[3] .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

(٢) سورة الأعراف آية ٤٤ .

(٣) سورة الزخرف آية ٥٨ .

ثانيا : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

المسارعة إلى عمل ما أمر الله بقدر الطاقة ، والبعد عما نهى الله عنه جملة ، فإن الطاعة مقيدة بالطاقة . قال تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَاٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[1] وكل تكليف ملاحظ فيه الاستطاعة ، وأما ما نهى الله عنه فبترك جملة واحدة ، فإن الله ما نهى إلا عن كل قبيح لاخير فيه .

ثالثا : أن يكون لكل فرد فى المجتمع حق عليه :

أن ينزل الناس من قلبه بقدر ما أنزلتهم الشريعة ، فترى معلم الخير والوالدين فى أرقى المقامات من قلبك ، تعظيما واقتداء ومحافظة على الاتباع وبرا .

وترى إخوتك من والديك أحب الناس إليك ، ويليهم إخوتك من والدك أو والدتك ، ثم ترحم أبناءك وتجتهد فى تربيتهم تربية تصلح بها حالهم فى الدنيا والآخرة ، ثم تحسن صحبة زوجتك ، وخصوصا إذا تزوجت أكثر من واحدة .

ثم تنزل الناس بحسب منازلهم ، من جار أو قريب أو شريك أو عامل عندك ، من الرحمة وحفظ العهد ورعاية جانب الله تعالى ، حتى يكون المجتمع الإسلامى كالجسد الواحد ، لكل فرد منه حق عليك بقدره شرعا .

---

(١) سورة التغابن آية ١٦ .

رابعا : أن يؤدى ما عليه لغيره :

وهنا ملاحظة أحب أن يكون السالك عليها ، وهى أن يسارع فى تأدية ماعليه لغيره ، ولا يطالب الناس أن يقوموا بما عليهم له ، طمعا فيما يناله من الأجر يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وفى هذا المقام تتفاوت المقامات ، فإن الله سبحانه عندما أثنى على رسول الله ﷺ لم يثن عليه لأنه كثير الصيام ، أو القيام ، وإنما أثنى عليه بالأخلاق الكريمة ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] بغير التنوين ، أى : على خلق الله ، وبالتنوين فى رواية حفص يعنى على خلق موصوف بالعظمة عند الله تعالى ، وهو أكمل جمال للأخلاق. ولا تسوّأيها المريد بالأخلاق شيئا، فإن الأخلاق هى رعاية جانب الله تعالى ، وقهر دواعى البشرية من الحظ والهوى والطمع ، وبذلك يكون المريد أشبه بالملائكة المقربين ، بل أفضل منهم ، لأنه مجاهد ، والملائكة أرواح نورانية ليست فيهم عناصر تقتضى المجاهدة ، قال تعالى : ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَاهِدِينَ عَلَى ٱلْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2] .

---

(١) سورة القلم آية ٤ .

(٢) سورة النساء آية ٩٥ .

الشريعة والحقيقة طريق واحد

أدعياء الطريق وتأويلاتهم :

إن الأصول الشرعية يجب على السالك فى طريق الله أن يرعاها حق رعايتها ، فلايحيد عنها قيد شعرة ، والسلوك إلى الله تعالى لا يمكن أن يكون من غير الطريق الشرعى ، ولما كانت هذه النقطة من أدق النقاط وأصعبها فهما على عقول العامة ، خصوصا فى هذا الزمان المظلم الذى تفشت فيه البدع ، واشتدت وطأة المضللين والجاهلين .

فقد رأينا أن نعرض للكلام فيها ، ونفصل ماخفى منها حتى تستبين الحجة فيها ، وتتضح المحجة وينجلى ذلك الستار الموهوم الذى أسدله أدعياء المتصوفة وقاطعوا طريق الله تعالى على أنفسهم ، لتضليل البسطاء وإغواء الأبرياء ، والتحايل على العيش من وراء هذا الافتراء والبهتان .

يحاول أولئك القوم أن يُفهموا السذج من الناس أن الشريعة والحقيقة مختلفتان ، متناقضتان فى لفظها وجوهرها ، وأنها طريقان متباينان ، لكل طريق منها أصول وقوانين ، وأن كلا منها انفردت بأهلها ومعتنقيها عن الأخرى ، ولذلك يحتمون على من سار فى طريق الحقيقة أن يترك كل مايتعلق بالشريعة ، لأنه يسير بزعمهم فى طريق

أعلىٰ وأسمى من تلـــك الطريـق ، ولا يجمـل بمن رقى أن يتنزل ، ولابمن تغلغـل فى بطن الـدار وجـالس أهلهـا ؛ أن يعود للوقوف على بابها .

الرد على هذه التأويلات :

وجهل أولئـك المغرورون أن الشريعـة والحقيقـة طريق واحد ، بـدايتـه الأولى ونهـايتـه الثـانيـة . وأن الحقيقـة من الشريعة ، كالقصر المشيد العالى من الأساس المتمكن فى أعماق الأرض ، فلو لم يبق هذا الأساس ويحكم بناؤه لما قـام ذلـك القصر ، ولما دام بقـاؤه . وإنـه وإن كانت الحقيقـة بيتـا والشريعة بـابـه ، فـإن البيوت لاتؤتى من غير أبوابهـا ، وإن الـذى يـدخـل البيت من غير البـاب إنمـا هـو لص مريب ، لا ينظر إليه بعين الثقة ولا الاحترام .

ولقـد بيَّن العلمـاء العـارفون بـالله وهن تلـك الـدعـاوى البـاطلـة ، التى يضلل بهـا أولئـك الأدعيـاء عقـول النـاس ، يقذفون بهم فى هوة مخالفة الشريعـة والخروج على أوامرهـا ، حتى إذا ما انقضت تلك الحياة الدنيا - وسرعان ماتنقضى - وجـاء يوم الحسـاب والعقـاب : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا لِلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا

كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[1].

مكائد أدعياء الطريق وحيلهم :

وإليك بعضا من مكائدهم وحيلهم التى ينصبون شراكها لإيقاع البسطاء :

أول مايبدو لك من أحوالهم جرأة على الشريعة ، وسوء أدب مع الله تعالى ، وأمن واستهتار ينبئك بأن نفوسهم لقسة لم تتطهر من رجس الشهوات ، ولم يوجد فيها القابل الذى يقبل الحقائق ويرضخ لها ، وإذا ما أنكر عليهم منكر بعض أمورهم المخالفة للشرع الشريف ، قالوا كذبا : إن حرمة ذلك فى العلم الظاهر ، وإنا أصحاب العلم الباطن ، وهو فى علمنا حلال ، وإن الناس يأخذون من الكتاب والسنة ، أما نحن فنتلقى من صاحبها محمد ﷺ ، فإن أشكل علينا مانتلقاه منه رجعنا إلى الله تعالى بالذات . وإنا بالخلوة ، وهمة شيخنا نصل إلى الله ، فتكشف لنا العلوم ، فلانحتاج إلى كتاب وسنة ، إن الوصول إلى الله تعالى لايكون إلا برفض العلم الظاهر والشرعى ، وإنا لو كنا على

---

(1) سورة البقرة آية ١٦٦ - ١٦٧ .

الباطل ماحصلت لنا تلك الكرامات العلية ، والأحوال السنية ، من مشاهدة الأنوار ، وكشف الأسرار .

الرد على هذه المكائد والحيل :

كل ذلك ونحوه أكاذيب وترهات ، بل هو إلحاد وضلال ، إذ فيه ازدراء بالشريعة السمحاء ، وإبطال لحكمة تشريعها ، وإن الشيطان لم ينل من المسلمين ما ناله الفساق من المدعين التصوف بالباطل ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] والتقوى هى العمل بعلم الشريعة ، لأن الأخذ بالعزيمة من شأن الأتقياء ، ومن خالف الشريعة صار غويا لا تقيا ، ومثله يعلمه الشيطان الطمع فى الأموال ، وإباحة الأعراض ، والكيد لمخالفيه والمنكرين عليه .

الذين يحصلون علم الشريعة ولايعملون به :

كما أن الذين يحصلون علم الشريعة ولايعملون به هم شر الخلق ، لأن العالم إذا استعان بعلمه على نيل الدنيا من الملوك والأمراء ، بل ومن المتسلطين من غير المسلمين ، بأن يواليهم ويتوددهم ويتردد عليهم ، سلب الله منه بركة العلم ، وكان العلم حجة عليه يوم القيامة . روى الإمام أبو عمر

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

يوسف بن عبد البر الأندلسي بسنده في كتابه : (جامع بيان العلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أولُ الناسِ يُقْضَى فيه يوم القيامة ثلاثةٌ : رجلٌ استُشهد في سبيل اللهِ فأتى به ربُّه فعرّفه نعِمَه فَعَرفَها ، فقال : فما عملتَ فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استُشهدْتُ ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآنَ . فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملتَ فيها ؟ قال تعلمتُ فيك العلمَ وعلمتُه وقرأتُ القرآنَ ، قال : كذبتَ ، ولكن ليقال : هو قارىء ، وقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار . ورجل أوسعَ اللهُ عليه وأعطاه من أصنافِ المال ، فأتى به فعرّفه نِعمَه فعَرَفها ، قال : فما عملتَ فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن أُنفِقَ فيه إلّا أنفقتُ فيه ، قال : كذبتَ ولكن ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقِيَ في النارِ »[1] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة .

وهذا الحديث فيمن لم يرد بعلمه ولاعمله وجه الله ، وقد قيل فى الرياء : إنه الشرك الأصغر .

المعرفة بالله تعالى

الرضا هو المعرفة بالله تعالى :

أهل الطريق أسسوا طريقهم إلى الله تعالى على آيات كثيرة من القرآن ، وأحاديث صحيحة وصلت إليهم بسند عال صحيح ، من تلك الأحاديث ماروواه الإمام أحمد بن حنبل بسنده قال : قال رسول الله ﷺ : « **ذاقَ طعمَ الإيمانِ مَنْ رَضِيَ باللهِ ربًّا وبالإسلامِ ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا** »[1] هذا الحديث الصحيح ركن من أركان الطريق الذى أخذ به أهل العلم بالله تعالى ، لأن الذوق المنبعث عن الرضا هو المعرفة بالله تعالى ، والمعرفة أسكنها سبحانه قلب من أحبه من العباد ، ولاشىء أجل وأعظم من ذلك النور .

حقيقة المعرفة حياة القلب وموت النفس :

وحقيقة المعرفة حياة القلب بالمحي سبحانه ، قال تعالى : ﴿ **أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا**

(١) صحيح مسلم .

يَمْشِى بِهِ فِى ٱلنَّاسِ ﴾[1] وقال جل شأنه : ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[4] فمن ماتت نفسه بعدت عنه دنياه ، ومن مات قلبه بعد عنه مولاه .

فأهل طريق الله تعالى رضى الله عنهم : لما ماتت نفوسهم بعدت عنهم الدنيا وبعدوا عنها ، ولما قامت بحكم الحياة الدائمة بالله قلوبهم الطاهرة : قربت من الله ، وقرب بسره المقدس منها ، فهم ودائع مدد الله وخزائن أسراره ، إليه يرجعون ، وبه سبحانه وتعالى يهيمون ، وعليه يتوكلون وإلى غيره لا يلتفتون ، وكل مايحمل على أكابرهم وأصاغرهم ، خفيهم وظاهرهم ، من الشئون التى تمس زهرة هذه الدنيا الفانية بحقيقتها ، خلاف ماحملها عليهم الكذابون ، وأضافها إليهم الباغون .

مشارب أهل الطريق :

وهم رضى الله عنهم على مشارب وأطوار ، فمنهم رب

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

(٢) سورة يس آية ٧٠ .

(٣) سورة النحل آية ٩٧ .

(٤) سورة الأنفال آية ٢٤ .

المظهر القهار ، ومنهم المتحلى بالتجرد عن الآثار ، ومنهم الملتحف برداء التعزز والوقار ، ومنهم المتطيلس بطيْلسان الذل لله والانكسار ، ومنهم المغلوب ، ومنهم المجذوب ، ومنهم المتمكن الجامع ، ومنهم السيف القاطع ، ومنهم شرعى الانبلاج ، ومنهم البحر العجاج .

وكلهم ثقيلون على أهل النفوس الملوثة بأغراضها ، والقلوب المملوءة بأمراضها ، وهم غرباء عن جنس أولئك ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام عنهم : « **مَنْ يبغضُهُم أكثر ممن يُحِبُّهم** » لأنهم يخالفون ماعليه النفوس وأربابها . والمقاصد الفاسدة وأصحابها . وقد روى : « **مَنْ أَحبَّ اللهَ فيلتخِذْ للبلاءِ جِلْبَابًا** » فالابتلاء لأحباب الله تعالى لابد منه ، ولكن لهم الغلبة على من عاداهم ، والنصرة على من ناوأهم قال سبحانه : ﴿ **أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[2] .

وكل أهل زمان لهم من الله حظهم بقدر احترامهم لأهل الوقت من أهل الله ، وبقدر محبتهم لهم ، وحسن

---

(١) سورة المائدة آية ٥٩ .

(٢) سورة يونس آية ٦٢ .

ظنهم بهم ، وصدق موالاتهم ، وخالص الاجتماع لمناهجهم ، وسلوك طريقهم ، والتخلق بأخلاقهم ، مع إجلالهم وإعظام شأنهم . والعكس ـ والعياذ بالله ـ بالعكس .... فإن إهانة أولياء الله ، والكذب عليهم ، وإهمال حقوقهم ، وهضم مقاديرهم ، ينتج عن زيغ القلوب ، وخبث النفوس ، واستخفاف لأوامر الله تعالى ، ومتى عمت هذه الأوصاف القبيحة قوما من المسلمين : ترى الخزى والفشل يعمهم ، والذل يكتنفهم ، ويدعون فلا يستجاب لهم .

لأن هؤلاء القوم هم أمناء النبي ﷺ فى الأمة ، وهم العلماء بالله حقا ، العارفون بسنته عليه الصلاة والسلام صدقا ، المتمسكون بها ، الناصرون لها ، المفرغون للأخلاق المحمدية فى القلوب ، الجاذبون ألباب الأمة إليه ﷺ ، هم نقطة الجمع للقلوب على أمر الله وسنة نبيه ، وإعزاز كتابه ، وتعظيم أمره ، وتوقير أحبابه ، فمتى أهملهم أهل زمانهم انفكت جامعتهم ، وتفرقت قلوبهم ، وهنالك فلا عز ولا مُكْنة ، حيث يسلط الله عليهم عدوهم ، وينزع المهابة عنهم .

نسأل الله تعالى أن يمنحنا الأدب فى جانب أوليائه رضى الله عنهم ، وأن يوفقنا للاهتداء بهديهم ، ويعلق قلوبنا بمحبتهم ، ليسلكوا بنا طريق الله القويم ، وصراطه المستقيم .

الباب الرابع

أساس الطريق

أولا : تحصيل العلم

العلم فى الكتاب :

أول واجب ينبغى على من أراد السلوك فى طريق الله تعالى تحصيل العلم ، إذ هو أساس العقيدة ، وروح العبادة ، ومعلم الأخلاق ، والرائد فى المعاملات ، وهذه الأربعة هى أصول الدين . ذكر الله تعالى العلم فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، تنبيء عن شرفه وتعظيمه ، ورفع سبحانه قدر العلماء حتى عطفهم على نفسه ، وخصهم بخشيته والتعقل عنه ، فقال سبحانه : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَآءُ ﴾[2] وقال عز وجل : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[3] وقال جلَّ شأنه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4] .

---

(١) سورة آل عمران آية ٧ .
(٢) سورة فاطر آية ٢٨ .
(٣) سورة العنكبوت آية ٤٣ .
(٤) سورة الزمر آية ٩ .

العلم فى الحديث:

وكذلك حثنا رسول الله ﷺ على طلب العلم ، حتى جعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وذكر فى تعظيمه وبيان قدره أحاديث كثيرة نكتفى منها بهذا القدر :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(ماعُبِدَ اللهُ بأفضل من فقهٍ فى دين الله ، ولفقيهٌ واحدٌ أشدُّ على الشيطانِ مِن ألفِ عابدٍ ، ولكل شىء عمادٌ وعماد الدين الفقه)** ، وعن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(تعلَّمُوا العِلْمَ فإنَّ تعلُّمَهُ لله خشيةٌ ، وطلبَه عبادة ، ومذاكرَته تسبيحٌ ، والبحثَ عنه جهادٌ ، وتعليمَه لمن لا يعلمه صدقةٌ ، وبذلَه لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة ، وهو الأنيسُ فى الوحشةِ ، والصاحبُ فى الغربةِ ، والمحدِّثُ فى الخُلوةِ ، والدليلُ على السرَّاءِ والضراءِ والسلاحُ على الأعداءِ ، والزَّيْنُ عِند الأخلَّاءِ ، يرفعُ اللهُ به أقواماً ، فيجعلُهم فى الخير قادةً وأئمةً ، تُقتَفَى آثارُهم ، ويُقتَدَى بِفِعَالِهم ، ويُنتَهَى إلى رأيهم ، ترغبُ الملائكةُ فى خلتِهِم ، وبأجنِحَتِهَا**

تمسحُهم ، يستغفرُ لهم كلُّ رَطبٍ ويـــابسٍ ، حتى حيتانُ البحرِ وهوامُه ، وسبـاعُ البرِّ وأنعـامُـه ، لأنَّ العلمَ حيـاةُ القلوبِ من الجَهلِ ، ومصـابيـحُ الإبصَـارِ من الظُّلَمِ ، يبلـغُ العبـدُ بـه منـــازل الأخيـــار ، والدرجَـاتِ العُلا فى الـدنيـا والآخرةِ ، والتفكرُ فيـه يعـدلُ القيـامَ ، بـه تُـوصـلُ الأرحـامُ ، وبــه يُعرفُ الحلالُ والحرامُ ، وهو إمـامُ العملِ ، والعملُ تـابِعُـهُ ، يُلهَمُه السُّعداءُ ، ويُحرَمُه الأشقياءُ) .

من ذلك تعلم أن تحصيل العلم أسـاس السلوك فى طريق الله تعـالى ، إذ هو النور الـذى يهـدى إلى الرشـد ، ويكشف للسالك عما قد يعترض طريقه من عقبات ومهاوٍ .

ماالمقصود بالعلم ؟ :

ولسنا نقصد بالعلم تلك القشور التى أضـاع فيهـا العلمـاء أعمــارهم ، وهم لايــزدادون بهـــا إلا بعـــدا عن الله تعــالى ، ومسارعـة فيمن حكم القرآن بـالكفر علىمن وادَّهُم ، أو تزلفـا لأصحاب الجاه والمناصب ، رضا بالحيـاة الـدنيـا واطمئنـانـا بها .

ولانقصـد علـوم المـادة والفلسفـة الخرافيــة ، التى أضلت أهلهـا ، وجعلتهم يتخـذون المـادة إلَهـاً معبـوداً ، ويكفرون

بالله ، ويحقرون دينه ، فإن هؤلاء وهؤلاء حكم عليهم القرآن بقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرا مِّنَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[1] .

وإنما نقصد بالعلم ، علم المعرفة بالله تعالى ، الذى يهدى القلوب إلى معرفته ، والعقول إلى توحيده ، والأرواح إلى محبته ، والأجسام إلى الفناء فى عبادته والقيام بأمره ، فذلك هو العلم المفروض على المؤ منين جميعا ، لأنه قوام العقيدة ، وروح الإيمان ، ومن حُرِمه أو أهمل فى طلبه فقد حُرم السعادة والخير .

العالم الربانى يهدى إلى الطريق :

ولن يستطيع السالك أن يخطو فى طريق الله تعالى خطوة ؛ إلا على يد عالم ربانى ، منحه الله علم المعرفة به ، وكاشفه بأسرار حكمته ، وبدائع قدرته ، حتى أصبح دالاًّ به عليه ، واقتدر على بيان الحقائق بلسان الحكمة المؤثرة على النفوس .

أما أولئك الجهلاء ، الذين يظنون أن السلوك إلى الله تعالى بالعبادة والعمل - دون العلم - فهم محجوبون ، ناكبون

---

(١) سورة الروم آية ٧ .

عن الطريق ، لأن العمل من غير علم المعرفة يجعل القلب قاسياً ، والقلب القاسى بعيد عن الله تعالى ، ولو عَبَدَ الله ألف سنة ، قال رسول الله ﷺ : (**فضلُ العالِم على العابِد كفضْلِي عَلَى أدناكُم**)[1] وقال عليه الصلاة والسلام :(**قليلُ العِلم خيرٌ من كثيرِ العِبادَةِ**) .

فعليك أيها السالك أن تسعى إلى العالِم الربانى ، لتتلقى منه علم المعرفة بربك ، بعد أن تعرف نفسك ، حتى ينتهى بك السلوك إلى الوصول .

ثانياً : العمل بالعلم

العلم وسيلة للعمل :

العلم مقصد عظيم ، وكل ماسواه من المال والبنين والعافية والزوجة ؛ إنما هو وسائل لتحصيل العلم ، الذى هو المقصد الأعظم . والعلم وسيلة للعمل ، فالعمل بالنسبة للعلم مقصد عظيم ، والعلم له وسيلة . والعمل وسيلة للتقرب من المعلوم جل جلاله، ولنيل رضوانه . والتقرب ونيل الرضوان مقصدان عظيمان ، ولكنهما وسيلتان لنيل شهود جمال الله تعالى . ونيل شهود جمال الله تعالى فوق العلم والعمل .

---

(١) رواه الترمذى فى سننه .

ترك العمل بالعلم خسران :

والله جل جلاله لايمنح ماعنده بمعصيته ، لأنه تعالى غنى عن العالمين . فالعمل بلا علم لايُرفع ، والعلم بلا عمل لاينفع . والعمل والعلم ببلا إخلاص لايُقبلان ، والعالِم إذا ترك العمل خاب فيه الأمل ، لأنه قدوة العالَم ومحل نظرهم ، ومن علامات بغض الله تعالى للعلماء بالأحكام وبالدنيا وسياساتها أن يتركوا عمل القلوب ، ويتهاونوا بعمل الجوارح ، فتكون قلوبهم محلا للحسد والهمم الشيطانية ، واللمم البهيمية ، يتقربون بما حصلوه إلى الظَّلَمة ، والملوك ـ ولو كانوا كفاراً ـ ويستعينون به عندهم على نيل الخير العاجل .

وقد يكون العلم بالدنيا ـ لدى العلماء بالدنيا ـ سببا فى سلب الإيمان ـ نعوذ بالله ـ لأنهم يعينون أهل القوة والمال والسلطان ، ولأنهم يحسّنون لهم أعمالهم ، ولا يخافون الله فيهم ، ويخافونهم . فإذا همَّ الظالم بعمل يخالف الله ورسوله : أعانوه عليه خوفاً منه ، ولم يخافوا من الله تعالى . أقول : يُسلب بهذا العلم الإيمان من العالم بالدنيا ؛ لأنه ينسى نفسه ، ويعتقد أنه عالم ، والعالم فى الحقيقه هو الله ، وكل من سواه متعلم منه سبحانه ، فإذا نسى العالم نفسه ؛ وحكم

لنفسه بالعلم ؛ نسى الله تعالى ، قال الله تعالى :﴿ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾[1]

إذا خاف العالم من الموت ونسى يوم القيامة وسارع فى أعداء الله تعالى قائلا : نخشى أن تصيبنا دائرة ، واقتدى به العالم فى هذا العلم ضلّ وأضلّ ، فكان كالمرض المعدى ، وكان علمه شرا عليه . أعاذنا الله تعالى من مرض أهلك إبليس فظن لعلمه أنه خير من غيره وخالف أمر ربه . أما العلم بالله تعالى وبأيامه وبأحكامه وبحكمة أحكامه فهو العلم الذى يهبه الله تعالى لمن يشاء من أحبائه وهو العلم الذى ينفع الله به عباده .

العالم الذى يعمل بعلمه :

وهذا العالِم لايخالف علمه مادام مؤيدا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وعمله نجاة العالَم أجمع ، لأنه يعمل بعلمه عمل القلوب فيما بينه وبين ربه ، ويعمل بعلمه عمل الأجسام مخلصا لله تعالى أمام إخوانه ، فيكون له المقام العلى عند الله بعمل قلبه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[2] . صاحب القلب المتقلب فيما يقربه من الله تعالى ، وصاحب البصيرة المشاهدة لآيات الله تعالى فوق العالم العامل بجسمه لابقلبه ،

---

(١) سورة الحشر آية ١٩ .

(٢) سورة ق آية ٣٧ .

لأنه عمل بقلبه عملا قربه من الله تعالى ، وعمل بجسمه عملا أناله الله تعالى به فضله ورضاه ، ونفع به أهل عصره ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[1] .

العمل بحكم ماأنزل الله :

الأساس الذى أسس عليه أئمة أهل المجاهدة طريقهم هو أساس واحد . وهو أن الحاكم هو الله ، والحكم له سبحانه وتعالى ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾[2]

وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ .

وحكم الله هو كتاب الله وكلام رسول الله ﷺ ، لأن

(١) سورة الفرقان آية ٧٤ .
(٢) سورة يوسف آية ٤٠ .
(٣) سورة المائدة آية ٤٥ .
(٤) سورة المائدة آية ٤٧ .
(٥) سورة المائدة آية ٤٦ .

كلام رسول الله ﷺ هو حكم الله تعالى ﴿ وَمَاآتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[1] .

حكم من حكّم الذوق والحال والوجد :

وقد جهل بعض الناس ممن لاعلم لهم بالطريق ، فظنوا أن أهل الطريق يُحكّمون الذوق والحال والوجد ولو خالفوا فى ذلك الشريعة . ومن يعتقد ذلك فى أهل الطريق فقد جهل مبادئهم ، ومن جهل شيئا عاداه ، فإن الذوق قبس من نور اليقين ، أى : هو فوق العلم . والحال ظهور أنوار اليقين على السالك المخلص حتى يكون متجملا بجمال أهل الخشية والخوف من الله تعالى ، والرغبة فيما عنده سبحانه ، والوجد حضور بالقلب والسر مع الرب جل جلاله . ولا يمن الله بتلك المعانى على من خالفوا حكمه سبحانه ، ومن حكّم الذوق والحال والوجد وخضع لحكمهم فقد عَبَد غير الله ، وماعند الله لا ينال بمعصيته .

واجب الوقت :

إذا انقاد أهل الطريق بذوقهم وحالهم ووجدهم ، فليس ذلك انقيادا لها ، وإنما هو انقياد لواجب الوقت الذى أوجبه

(١) سورة الحشر آية ٧ .

الله على السالك ، مسارعة إلى تنفيذ حكم الله تعالى الذى تلقاه عن الله ، إما صريحا من كتابه العزيز، أو من عمل وكلام رسول الله ﷺ ، وعمل أئمة الهدى من الصحابة والتابعين ، أو استنباطا من الكتاب والسنة ، فإذا اضطر إلى الحكم على أمر ولم يستبن له ؛ رفعه إلى أعلم منه ، فإذا خفى عليه نظر بعين المخافة من الله ، وفكر فيه بقلب ملؤه الخشية من الله ، فإذا ظهر فيه مصلحة وخير ، حكم بإباحته ، وإن ظهر له فيه مفسدة ومضرة ، حكم بكراهته . فإن روح الشريعة تقضى بأن كل ماهو خير مباح ، فهم فى ذوقهم وحالهم ووجدهم مقهورون بحكم الله تعالى ، وكل ذوق أو وجد أو حال يخالف حكم الله تعالى يفرون منه ويتبرءون منه .

ولعلك تنكر قولى : واجب الوقت . فأبين لك هذا الأمر : أخَّر ﷺ صلاة العصر إلى الغروب فى غزوة من الغزوات وقال : « **حبسُونَا عن الصلاةِ الوسطَى فملأ اللهُ قبورَهم ناراً** » .

وجلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى المسجد يذكر أصحابه بأمر فأخَّر صلاة العصر ، فقال المؤذن : الصلاة ياأمير المؤمنين ، فقال : نحن فى صلاة . فقد يقتضى الوقت

طهارة القلب فيسارعون إلى طهارة القلب ، فإن كل عمل لم يكن صادرا عن قلبٍ مردود .

العلماء بالدنيا الجهلاء بالآخرة :

ولاعجب ، فإن علماء الدنيا أعانوا الظلمة والكفرة على مفاسدهم وأباطيلهم ، وأضلوا العامة بمسارعتهم إلى أعداء الله تعالى ، والمخالفين لسنة نبيه ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[2] .هذا لأن جميع العالَم يعتقدون أن العلماء هم الأئمة ، وهم النور ، ويقبلون منهم مالا يقبلونه من غيرهم . وهؤلاء ليسوا بعلماء بالله وبأيامه وبأحكامه وبحكمة أحكامه ، ولكنهم علماء بالدنيا ، وبالوجوه التى يحصلونها بها ، قطع حب الدنيا قلوبهم عن مشاهدة الآيات فى الكائنات ، وأعمى الحسد والمنافسة فى الدنيا وحب الشهرة بها أبصارهم عن السياحه فى ملكوت الله ، فعظموا ماحقر الله ، وأهانوا ماعظم الله ، فتراهم أذلاء .

---

(١) سورة المائدة آية ١٣ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ العلماء بالله :

أما العلماء بالله تعالى ، فإنهم يسارعون إلى مغفرة من ربهم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، فيعمرون الأنفاس بما يحبه الله ، مراقبة لله وخشية من عظمته ، وعملا بما يحبه ويرضاه ، فيهدى الله بهم أهل عصرهم . فالعالم كالنجم المشرق فى الليل المظلم ، كما قال ﷺ : « **أكرِمُوا العلماءَ فإنهم سرُجُ الدنيَا ومصابيحُ الآخرةِ** » .

قال الله تعالى : ﴿ **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا** ﴾[2] وأهل الخشية قليل ، ومتى أظهر الله رجلا من أهل الخشية عم نور اليقين أهل عصره . وأشر الناس يوم القيامة رجلٌ يبيع دينه بدنيا غيره ، فليتنبه أدعياء العلم ، وليتقوا الله فيما خوَّلهم من العلم بأحكامه سبحانه ، فإن تقوى الله بها نيل العلم بالله ، وصحبة العلماء الربانيين ، قال تعالى : ﴿ **وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ** ﴾[3] ومن خاف غير الله أبعده ، ومن طلب الله وجده ، فدله على من يدله عليه .

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٢ . (٢) سورة فاطر آية ٢٨ . (٣) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

أهل الطريق يهتدون بهدى السلف الصالح :

إن الله سبحانه وتعالى قد أكرم أهل الطريق بما هو كمعجزات أنبياء الله السابقين ، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، والله سبحانه لا يستجيب لمن لم يستجب له ، ولا يكرم بآياته من خالف حكمه . فأساس طريقهم رضى الله عنهم العمل بحكم الله تعالى ، ومخالفة كل ماخالفه ، حتى أنهم يخالفون كشفهم الصريح ، ويرجعون إلى حكم الله تعالى ، وأئمتهم أصحاب رسول الله ﷺ . وكان الرجل منهم رضى الله عنهم إذا حكم بحكم وظهر له حكم الله تعالى قال : أخطأتُ ، ورجع إلى الحق .

فإنما أهل الطريق أتباع لأصحاب رسول الله ﷺ ، ومقتدون بهديهم رضى الله عنهم جميعا . وكيف يتخيل متخيل أن قوما أقبلوا على الله تعالى بالكلية ؛ يعتقدون أنهم غير معصومين ؛ يحكّمون ذوقهم وحالهم ووجدهم ويتركون حكم الله تعالى ؟ ! والحق فوق الخلق عند غيرهم ، فكيف عندهم ؟ فهم مع الحق ، وإن شهدهم مَن جهل حالهم مخالفين ، ولذلك فإنك تراهم يطيعون فقيرا مسكينا ، وتذل له نفوسهم الكبيرة ، وتخشاه قلوبهم ، ويبذلون له نفوسهم ونفائسهم ، ويعادون لأجله الملوك والجبابرة ، ماذلك إلا لأنهم أحبوا أهل الحق ولو كانوا أذلاء فقراء مهانين مرذولين

فى أعين الناس ، ولو أنهم لم يكن الحق مقصدهم الأول لما
أذلوا أنفسهم العزيزة لفقير مسكين ،سمعوا منه الحكمة ،
وفقهوا عنه العظة ، وتعلموا منه الخشية من الله ، وكم من
سيد فى قومه عزيز فى سِربه ذل لفقير مسكين !! واتخذه
سيدا وإماما يخدم نعليه ، ويذل بين يديه ، ويسمع له
ويطيع ، مع أن الملوك تسترضيه فلا يرضى عنهم ،
وما ذلك إلا للحق سبحانه .

مااختلاف الطريق ؟

قال رضى الله عنه وأرضاه :

مَا اختلافُ الطريقِ والقصدُ واحد
والصراطُ السَّوىُّ للمتَــوَاجِـــد

ذَا لأنَّ النفـــوسَ مختلفـــــاتٌ
كلٌّ نفسٍ لَهَــا سبيــلٌ وشـاهِـد

والرجــــالُ الأفرادُ فـــوق صراطٍ
بَــدْؤُه الكشفُ للمرادِ الـوَاجِــد

مِنْ (أَلَسْتُ) شرِبُوا طهوراً مُـداراً
أسكرَتْهُم لم يُلْفِتنْهُمْ مُعَـــانِـــد

أفردوا اللهَ بـــــــاليقينِ وفَرُّوا
مِن سِـواهُ إليـــهِ والفضـلُ وَارِد

من لَــدَى البــدءِ وَوجِهُـوا بجمالٍ
يَجـذبُ الرُّوحَ للـوَلِىِّ الـوَاحِـد

واختـلافُ الطريـقِ فى السيرِ يُنبِى
بـاختـلافِ النفـوسِ بـل والمـَوَارِدِ

والمرادُ المحبـوبُ أفردَ بــالقصـــدِ
عليًّــا هُــوَ الإلَـــهُ الـوَاحِـــد

والنفـوسُ المَرْضَى تسيرُ الهُــوَيْنَـا
لـلأيَـادى أو للعَطَـا والمـوَائِــد

أو لأجرٍ تسعَىَ ونيــلِ حظــوظٍ
في جنــانِ النعيمِ بين الـوَلائِــد
بين بــاكٍ من خــوفِ نــارٍ وراجٍ
جنــةَ الخُلـدِ فى عَنَـاءٍ يُجَـاهِـد
بين زُهَــدٍ فيما يـزولُ لقصــدٍ
فــوزه بـالقبـولِ تجـده عـابـد
ذَاكَ سرُّ التفريـد والوجـهُ قصدِى
من (أَلَسْتُ) وطالبُ الغيرِ جَاحِد
أفردَ المجتَبُـونَ وجهــاً عَلِيًّــا
بــاليقينِ القـوىِّ محـو العَـوَائِــد
شاهَـدُوا بـاليقينِ فى الكونِ نـوراً
كان بــدءاً يراهُ كلُّ مُشَــاهِــد
لَم تَعُقْهُمْ عنــاصرٌ وحُــدُودٌ
كلُّ فردٍ للهِ بــاللهِ عَــائِــد
ظَلَّلَتْهُمْ أنــوارُ شمسِ التَّجَلِّى
سَتَرتْهم عنهم فبُشْرَى لِصَـاعِــد
نَـاوَلَتْهُمْ يـدُ العنـايـةِ راحـاً
أسعــدتْهم بنيـلِ كلِّ المقَـاصِـد
قصــدُهم واحــدٌ إليــهِ أَنَـابُـوا
بَـلْ لَــهُ أَسْلَمُـوا بقلبٍ وَاجِــد

« تم بحمد الله وحسن توفيقه »

تحذير

لقد مرد البعض على تزييف مؤلفات الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم ، بالتغيير والحذف والحشو والإضافة ، كما مردوا مرة أخرى إلى تغيير أسماء كتب الإمام بأسماء تتفق مع أهوائهم ، وإمعانا فى هذا التعدى على الإمام وتراثه العلمى ؛ فقد لجأ هؤلاء إلى بعض الهيئات ودور النشر لطبع هذه المؤلفات ، بصورة تودى بالهدف الذى توخاه الإمام من كتابته ؛ كاختزال عناوين كتبه ، اختزالا مخلا يفوت ماأراده الإمام من جعل عنوان الكتاب تعبيرا صحيحا عما ورد بين دفتيه ، كما حذفت عن عمد مقدمات الكتب الواردة بالطبعات السابقة ، واستعيض عنها مقدمات أخرى . كما أن يد التبديل والحذف والإضافة قد عبثت بصلب هذه المؤلفات عبثا أبسط مايقال عنه أنه تشويه لما كتبه الإمام ، وطمس لآثاره العلمية ، ومنع لوصول مفاهيم معينة أراد لها أن تصل إلى الناس .

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ[1] ﴾ .

---

(١) سورة البقرة آية ٧٩ .

لكل هذا فإننا نحذر القارىء المسلم - على وجه العموم - وإخواننا آل العزائم - على وجه الخصوص - من هؤلاء الذين ضيعوا تراث الإمام ولم يحافظوا عليه ، وصدق الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَمَّن يَأْتِيٓ آمِناً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1] .

وذلك بعدم قبول أى مؤلف من مؤلفات الإمام إلا إذا كان صادرا من مشيخة السادة العزمية ، وبإذن من سماحة السيد عزالدين ماضى أبي العزائم بصفته شيخا للطريقة العزمية ، والقائم على دعوة جده الإمام ، ونشر تراثه العلمى .

---

(١) سورة فصلت آية ٤٠ .

الإمام المجدّد السيد محمد ماضى أبوالعزائم

نسبه : سليل آل البيت الطاهرين ، حسنى من جهة والدته ، حسينى من جهة والده .

مولده : ولد يوم الإثنين ٢٧ رجب سنة ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩/١١/٢ م بمسجد سيدى زغلول برشيد .

وظائفه : عمل بالتدريس ، ثم تدرج فى سلك الوظائف حتى صار أستاذا للشريعة الإسلامية بكلية غردون بالخرطوم .

إقالته من وظيفته : كان يرى أن أهم وظائف الرجل الدينى الإرشاد والنصيحة للحاكمين ، بل لعامة الناس ، والتحذير من الوقوع فى حبائل الإستعمار فأقصاه الحاكم العام الإنكليزى من وظيفته فى ١٩ رمضان سنة ١٣٣٣هـ الموافق١٩١٥/٨/١م .

مطالبته بعودة الخلافة : بعد أن قررت الجمعية الوطنية بأنقرة فى ١٩٢٤/٣/٢ إلغاء الخلافة الإسلامية ؛ دعا الإمام لتأسيس جماعات للخلافة الإسلامية بجميع أنحاء العالم الإسلامى ، وانتُخب رئيسا لجمعية الخلافة الإسلامية بمصر فى ١٩٢٤/٣/٢٠م ، وناب عن شعب مصر فى حضور مؤتمر الخلافه الإسلامية الذى انعقد فى مكة المكرمة سنة ١٩٢٦ م فى أشهر الحج .

دعوته : أسس جماعة آل العزائم سنة ١٣١١هـ والطريقة العزمية سنة ١٣٥٣هـ ومقرها ١١٤ شارع مجلس الشعب بالقاهرة .

مؤلفاته : تذخر المكتبة الإسلامية بمئات الكتب من مؤلفاته فى التفسير ، والفقه ، وعلم الكلام ، والتصوف ، والفتاوى ، والسيرة ، والمواجيد .

انتقاله : انتقل إلى الرفيق الأعلى يوم ٢٧رجب سنة ١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧/١٠/٣م ودفن بمسجده بشارع مجلس الشعب بالقاهرة .

خليفته الأول : ابنه الأكبر سيدى العارف بالله السيد أحمد ماضى أبو العزائم ، شكل عمرا جديدا لدعوة الإمام ونشر تراثه العلمى ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم ٢٠ربيع الأول سنة ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧٠/٥/٢٦م ، ودفن بمسجد والده الإمام بشارع مجلس الشعب .

خليفته القائم : السيد عز الدين ماضى أبو العزائم المحامى بالنقض ، حفيد الإمام ، والإبن الأكبر للخليفة الأول ، وهو شيخ الطريقة العزمية ، وإمام جماعة آل العزائم .

الفهـــرس

الموضوع	رقم الصفحة

الباب الثانى

الموضوع	رقم الصفحة

الباب الثالث

الموضوع	رقم الصفحة

الباب الرابع

الموضوع	رقم الصفحة





رقم الإيداع ٣٣٣٢ / ١٩٨٥



[illegible]

[illegible] الأثر [illegible]

[illegible]

[illegible] الشيطان [illegible]

[illegible] إلى الله تعالى [illegible] أن التوحيد [illegible] طريقه [illegible]

دار الهداية [illegible]

[illegible]